جريدة مركز والى
عدد 03.
22 فبراير 2012

مركز والى
للعمارة والتراث

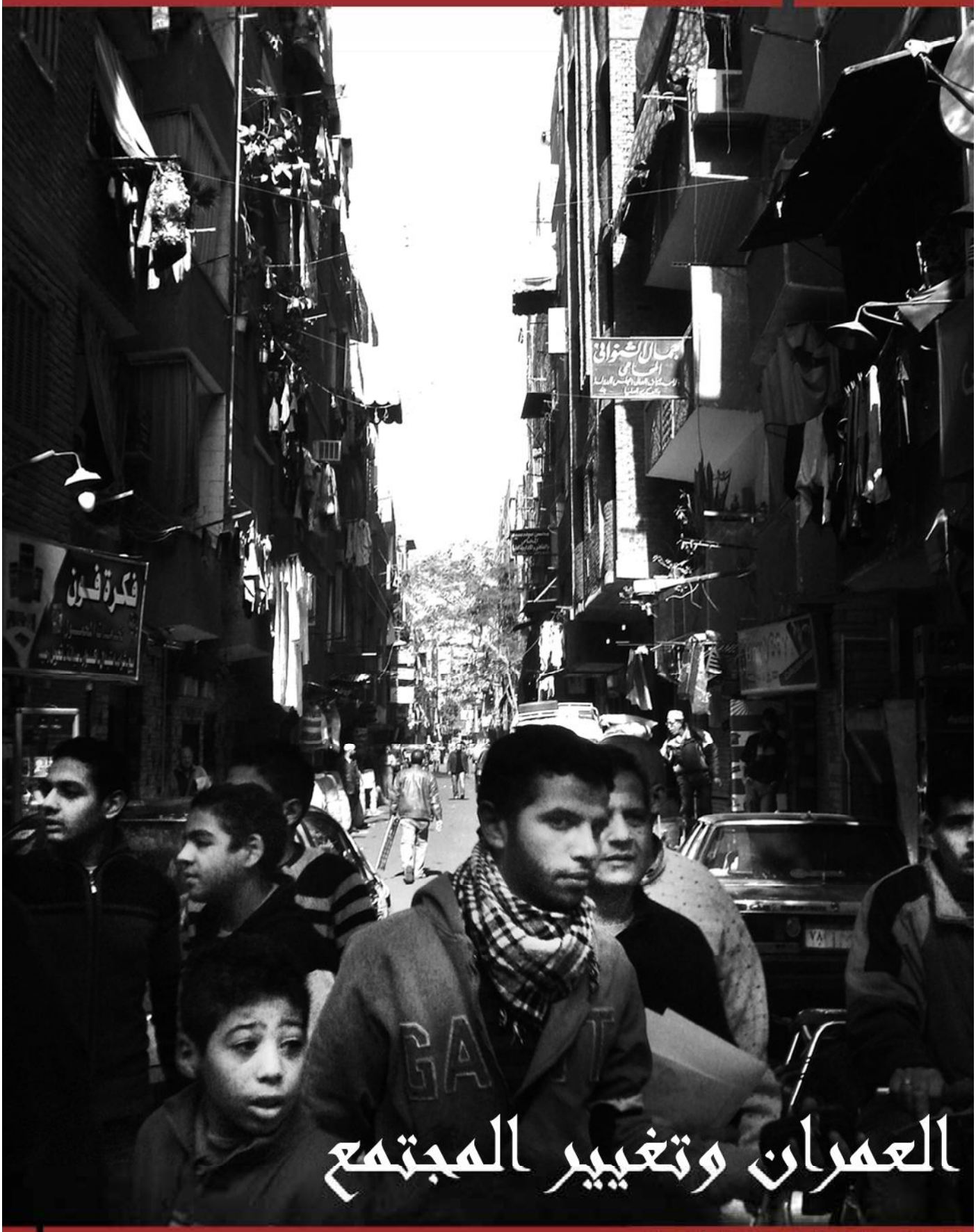

العمران وتغيير المجتمع

جريدة مركز والي
عدد 03.
22 فبراير 2012

مركز طارق والي
العمارة والتراث

العدد الثالث: العمران وتغيير المجتمع

يصدر مركز طارق والى , العمارة والتراث جريدة ثلاث مرات سنويا .

لكل عدد من اعداد الجريدة محور عام تدورحوله موضوعاتها .

وتتعلق تلك المحاور غالبا بالعمران او بأي من إهتمامات المركز .

فريق الإعداد:

يحيى شوكت

شيماء شاهين

أمنية خليل

محمد علاء

عمرو أبو طويلة

صورة الغلاف :

عرب المعادي , القاهرة , يناير ٢٠١٢

يحيى شوكت

الحقوق محفوظة لـ :
مركـز طـارق والـي العمـارة والتـراث

وحدة ١١ ، قرية الفخارين بشارع قصر الشمع
مصر القديمة ، القاهرة ، مصر.
٠٠٢٠٢ ـ ٢٥٣٢٧١٧٨

info@walycenter.org

جريدة مركز والي
عدد 03.
22 فبراير 2012

المحتويات

- أخبار المركز ٠١
- اصدارات جديدة ٠٢
- رؤيـــــــة .. نحو تنمية المجتمعات العمرانية القائمة ٠٤
- الرؤية العامة لعمران مدينة أخميم الجديدة ٠٩
- مالك بن نبي , وميلاد جديد للمجتمع العربي شيماء شاهين ١٩
- المعمارى المصرى.. نبذة عبر التاريخ يحيى شوكت ٢٣
- التفكير الابداعي محمد علاء ٣٠
- الثورة والعمران .. عمرو ابو طويلة ٣٢
- عرض وتقديم كتاب " المدينة والدولة " طارق والي ٣٨
- عرض وتقديم كتاب : "العدالة الاجتماعية والمدينة " ليلى حافظ ٤٣

أخبار المركز

يشترك المركز مع مكتبة الكتب النادرة بالجامعة الامريكية بالقاهرة بالاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد المعماري **"رمسيس ويصا واصف ١٩١١ - ٢٠١١ "** . بدأت المكتبة الاحتفال بالمئوية بتنظيم معرض عن المعماري في مقر الجامعة بالقاهرة الجديدة تم افتتاحه في ١٩ فبراير الحالي ومستمر حتى نهاية يونيو . وتعقد ندوة مصاحبة للمعرض في نهاية فبراير يشارك فيها المركز . واتفق المركز مع لجنة العمارة بالمجلس الاعلى للثقافة على استضافة المعرض في ختام الاحتفال بالمئوية واقامته في قصر الفنون - دار الاوبرا المصرية في نوفمبر ٢٠١٢

يشارك محمد علاء فى فعاليات برنامج **ترحال** ، المهتم بتنظيم سلسلة من ورش العمل فى مختلف المدن المصرية بهدف إحياء هذا الموروث والتعرف عليه لدى شباب المعماريين والمهتمين بهذا التراث ، حيث تنظم ورشة العمل القادمة فى الواحات الخارجة تحديدا بالبجوات خلال شهر أبريل القادم .

حصلت أمنية خليل فى يناير ٢٠١٢ على منحة من المعهد البريطاني بالقاهرة Grant for Artists لتنفذ معرضا فى شهر يوليو القادم وتقام فعالياته فى جاليري اوان فى وسط البلد، يأتي موضوع المعرض حول مفهوم تطوير المناطق المتدهورة فى القاهرة، ودفاعا عن سكانها فى المناطق والاحياء المختلفة ضد سياسة الاخلاء القسري التي تتبعها الحكومة المصرية فى السنوات الاخيرة .. وتطرح امنية اسئلة عدة خلال معرضها تحمل فى طياتها مسئولية المجتمع والحكومة فى تطوير احياء تدهورت عمرانيا بفعل التجاهل وعدم المسئولية والمشاركة فى اتخاذ القرارات بين المواطنين والمسئولين ... تأتى فاعليات المعرض من خلال تحليل ودراسة عمرانية ، ويعرض فيلم قصير توضيحا لجوانب المشكلة المختلفة وعلى جانب المعرض تقام عدة ورش عمل ومناقشات مفتوحة حول السياسات العمرانية فى مصر، ونحو تحقيق مجتمع افضل لمواطنين يستحقون حياة افضل ..

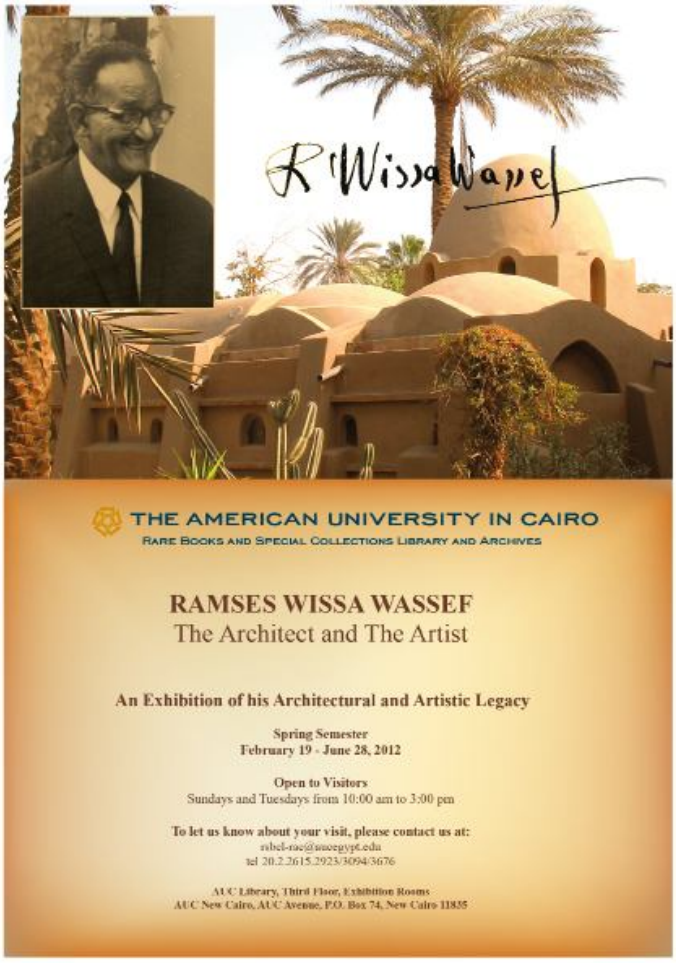

انضم لفريق العمل بالمركز المعماري عمرو أبو طويلة

قسم الأبحاث العمرانية

بدأ قسم الابحاث العمرانية بالمركز في نشر ابحاثه العمرانية وذلك على صفحة الابحاث بموقع المركز وذلك بعرض الدراسات التالية :

- دراسة الهيكل التراثي للقاهرة
- الدراسات العمرانية لمدينة أخميم الجديدة - سوهاج .
- الدراسات العمرانية لمنطقة الصداقة - اسوان .
- دراسات مخطط ادارة التراث - الهفوف - المملكة العربية السعودية .

وسنوالي استكمال نشر المزيد من الدراسات وذلك بهدف التواصل وتبادل المعرفة مع المهتمين بالعمران .. ويمكن الاطلاع على الدراسات عن طريق : http://www.walycenter.org/en/research/studies

اصدارات جديدة

أصدر المركزفي ديسمبر ٢٠١١ كتاب :

بين العصر والوجدان .. حوار عمراني

للمعماري : جمال بكري

كتب جمال بكرى هذا المخطوط على مر حوالى ١٠ سنوات قبل وفاته, وقد كانت تلك الكتابات دائما استجابه لأزمات آنية خارجة عنه ولكنها تؤرقه وتستنفر إبداعياته ... أو خواطر تعبر عن رؤية تتدفق من وجدانه. وظلت تلك كلمات مخطوطه وحبيسة الورق لم تنشر من قبل, ولكنها كانت دائمة متحررة من هذا الحبس فى ممارسة صاحبها للعمارة وفى حياته وفكره ...

واستجابة لرغبة ملحة كانت لجمال بكرى, ووفاءا لذكراه رأينا أن ننشر هذا الكتاب كما أراده صاحبه دون تدخل أو تغيير ...

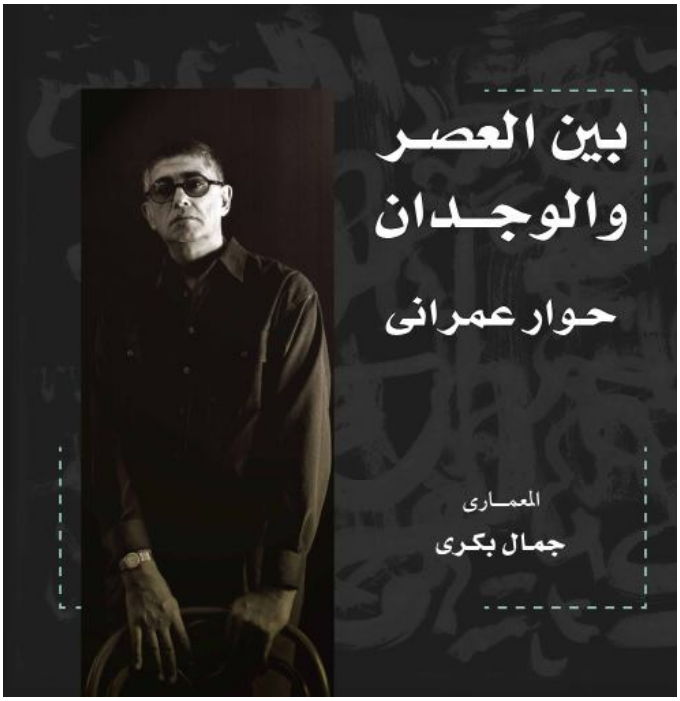

أصدر المركز في يناير ٢٠١٢ طبعة ثانية مزيدة من :

نهج البقاء في عمارة الصحراء

للمعماري : طارق والي

كتاب فى عمارة الصحراء ، لكنه نهج البقاء .. فإنه نهج البقاء فى عمارة الصحراء، بحثا عن واقعية وهروباً إلى خيال .. ولد الانسان ليبقى .. وبقى الإنسان ليموت، وبين الميلاد والموت هو مستخلف من الخالق فى عمارة الأرض مسئوليه تحملها بفطرته.. فطرة وإرادة للمخلوق فى حب الخالق ، فطرة وإرادة فى البقاء لا الخلود، فعمارة الأرض من عمارة هذا الكون الواسع ، مبدأ أزلى .. إنها سيمفونية دائمة ومتطورة ، ولكنها ليست فوضوية الأنغام . وهذه الطبعة الثانية مزيدة على نفس النهج وإستمرارا لرسالة الكاتب والكتاب ...

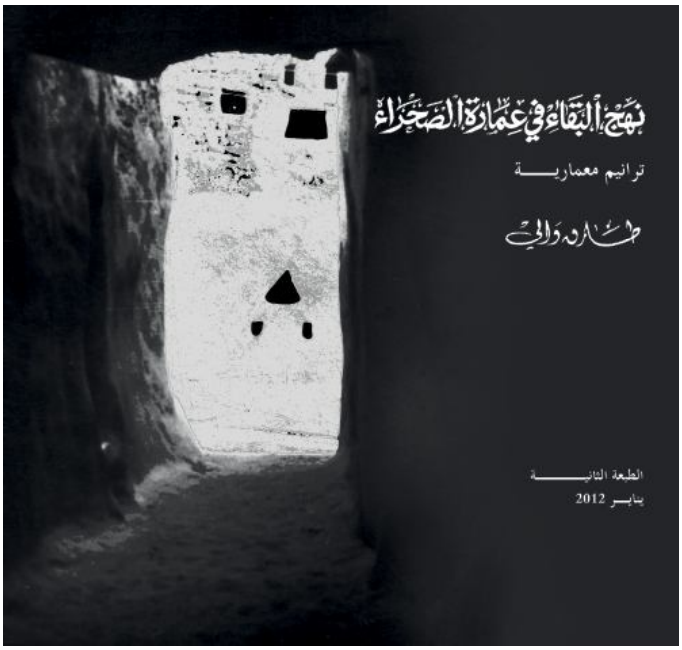

ويمكن الحصول على الكتب من المكتبات او من خلال المركز.

رؤيـــــــــــــــة .. نحو تنمية المجتمعات العمرانية القائمة

تصوير .. تامر شاهين

تهدف هذه الرؤية إلى تنمية المجتمعات العمرانية القائمة وخاصة الحضرية منها ، وذلك من خلال وضع منظومة تعتمد على إستقراء إشكاليات العمران وما تعانيه هذه المجتمعات من ظواهر للتدهور والمشاكل ، حتى يمكن بلورة برامج لتنمية أي منها ، والتي يتم تحديدها وفقاً لمعايير تقييم وأولويات التنمية الشاملة للمدينة ، وبما يتوافق وظروف منطقة الدراسة وبنيتها المجتمعية والعمرانية ؛ وفي إطار شمولية مفهوم التنمية ذاتها ، والذي نحدده هنا في محاور أساسية متكاملة مع بعضها البعض ومع ما يتفرع عنها ، حيث إنه لا يمكن الفصل بينها ، وهي ..

العدالـــة .. حق المواطنين في الحياة الكريمة وحصولهم على الخدمات والمتطلبات المعيشية والموارد الحياتية بالكيفية والنوعية المعيارية والموائمة بما يحقق تلك الحياة الكريمة ، وفي إطار أولويات المجتمع ككل حسب المعايير الأساسية للتقييم المتوافق عليها لضمان كفاءة ومساواة توزيع تلك الخدمات والمتطلبات والموارد بين المجتمعات والمناطق العمرانية المشكلة للكيان الحضري للمدينة ، وداخل أي منها على مجموع المواطنين من السكان ، لضمان جودة الحياة من كافة الجوانب ونحدد منها ..

- تطوير البيئة العمرانية .. تشمل البنية الأساسية وشبكات الحركة والنظافة ... الخ .
- تطوير وصيانة وإعادة تأهيل الكتلة المبنية والفراغات العمرانية ..
- تنمية الخدمات العمرانية والمجتمعية ..
- تحسين الظروف والحالات الإجتماعية والأوضاع المعيشية ..
- تنمية الأمكانات الأقتصادية والموارد للمجتمع ..

المشاركة .. مساهمة المواطنين في كافة خطط ومراحل عملية تنمية وتطوير مناطقهم ومجتمعاتهم العمرانية ، بجهودهم الذاتية الفردية والجماعية بالتعاون مع المؤسسات المعنية بمسئوليات التنمية والتطوير ، لخلق حالة من التوازن بين الدولة والمجتمع ، مما يتطلب صياغة أطر محلية مجتمعية مؤسسية لتلك المشاركة ، وتتضمن هذه المشاركة عدة جوانب منها ..

- ترسيخ المشاركة المجتمعية وتنظيم وإدارة تلك المشاركة .
- إتساع قاعدة المشاركة وتعميق مضمون المشاركة الفعالة والإيجابية .
- تطوير الإدارة المحلية وكفاءة الآليات المنظمة للمشاركة .

الأستدامة .. إيجاد القدرات الذاتية للمجتمع مع أمكانية تطورها لمعاصرة المتغيرات لتحقيق الموائمة المستمرة ، وهو يتطلب من المنتفعين الفاعلية والمساهمة والإيجابية في تنفيذ البرامج والمشروعات التنموية . وتعتمد الأستدامة على الأساليب الممنهجة للتمويل ، ومنها مساندة الدولة والمنظمات غير الحكومية والجمعيات المجتمعية الأهلية والإئتمانية والتعاونيات وما شابهها ؛ بالإضافة إلى الأشكال غير المباشرة لحشد الموارد ، عن طريق المشاركة بالأرض وتحول المستأجرين إلى مشاركين في الملكية وتنمية تلك الأملاك وغيرها من الأنساق التي تمكن المجتمع من المساهمة في توفير التمويل والموارد حالياً ومستقبلاً ..

ونحدد ملامح هذه الرؤيـــة " نحو تنمية المجتمعات العمرانية القائمة " من خلال ..

المفاهيم الفلسفية للتنمية ..

مفهوم فلسفة العدالـــة ..

يتركز مفهوم فلسفة العدالة في حق كافة المواطنين في الحياة الكريمة ، وحصولهم على الخدمات والأحتياجات الأساسية وتوافرها في إطار بيئة ملائمة ، ووجوب قيام المؤسسات المعنية في الدولة على تحسين نوعيتها وضمان كفاءة توزيعها بما يتناسب ومتطلبات وظروف كل المجتمعات المشكلة لكيان المدينة ، ولتحقيق ذلك يتحتم إدماج النواحي الإجتماعية في المنظومة التنموية حتى تتوفر العدالة والمساواة بين كل الفئات حالياً ومستقبلاً ، لتحقيق مبادئ أساسية هي ..

- تشكيل وتفعيل القدرة الذاتية لأفراد المجتمع في عمليات التنمية العمرانية وتنفيذ مشروعاتها .
- زيادة سلطة فئات المجتمع بمختلف مستوياتها للسيطرة على الموارد والقرارات المؤثرة على حياتهم ووضع التشريعات لتفعيل تلك السلطات المجتمعية .
- ضمان العدالة المجتمعية والمساواة في توزيع الفوائد الناتجة عن أعمال التنمية ، وحصول الجماعات الأضعف على المنافع المتوقعة منها ، وهذا مشروط بفاعلية **المشاركة المجتمعية**.

مفهوم فلسفة المشـاركة ..

يتمحور مفهوم المشاركة حول إسهام المواطنين من أفراد المجتمع بجهودهم الذاتية بشكل فعال فردي أو جماعي في عملية التنمية مع كافة المؤسسات الرسمية ، لإيجاد نوع من التوازن بين مؤسسات الدولة المنوطة بأعمال العمران وبين المؤسسات المجتمعية ، ولا يجب أن ينازع أحد حق المواطن في تحديد الأحتياجات ورسم السياسات والمساهمة في تنفيذها ومتابعتها وتقييمها ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال مجتمع المشاركين أنفسهم وفعاليتهم .

وتزداد أهمية هذا عند المعاناة من إشكالية العدالة بمختلف أشكالها وما يتبعه من تدهور عمراني بغض النظر عن المستويات الإجتماعية والأقتصادية لتلك المجتمعات ، ومن المؤكد أن المشاركة المجتمعية تقوي الإنتماء والحرص على المال والأملاك العامة مما يحقق الأهداف المرجوة حالياً ، و**الأستدامة** مستقبلياً .

تصوير .. تامر شاهين

مفهوم فلسفة الأستدامة ..

يعتمد مفهوم الإستدامة على إيجاد القدرات الذاتية للمجتمع مع أمكانية تطورها ومعاصرتها لأية متغيرات مستقبلية بما يحقق الموائمة المستمرة ، وهو يتطلب من المنتفعين فاعلية المساهمة الإيجابية والمستمرة أثناء تنفيذ البرامج والمشروعات التنموية ومراحل تشغيلها ، بالإضافة لدور المؤسسات الرسمية بالدولة المعنية بهذا المجال . ومن المشاكل الرئيسية التي تواجه أعمال التنمية في إطار فلسفة الأستدامة والمشاركة هو التحديد المسبق لألتزامات الإنفاق وجداول تنفيذ البرامج والمشروعات وهو ما يمثل عبء على المجتمع يتطلب وضع منهجية وآليات غير تقليدية للتمويل . ويصبح من الأفضل أن تكون المشاركة في مشروعات تنمية محددة ومتوسطة الحجم أو صغيرة ، مع تحقيق مرونة تتجاوب مع النمو التدريجي لقدرة المجتمع ، وخاصة في منهجية التمويل المعتمدة لسياسات الإقراض ، ليكون التمويل بضمان الجماعة والسداد بالمشاركة الجماعية أو التعاونية .

منهجيات التنميـــة ..

منهجية العدالـــة ..

تتحقق العدالة من خلال منظومة متكاملة ومتداخلة ترسم منهجية عامة لتوفير متطلبات الحياة الكريمة والخدمات لجميع المواطنين بالكيفية والنوعية المعيارية المناسبة والمتوائمة مع إمكاناتهم ، وفي إطار من المساواة ، وتتطلب تلك المنهجية وضع الأسس لتقييم أوضاع المجتمعات العمرانية وما تعانيه من قصور وما تحتاجه من متطلبات ، ووضعها في سلم أولولويات يحقق العدالة للمجتمع ككل ، وعموماً تتحدد هذه المنهجية ، وتبعاً لمعايير التقييم ، في ثلاث محاور ..

التدخلات العمرانية السكنية والمجتمعية ..

تلبية المتطلبات الآنية والمستقبلية وتحقيق معايير الملائمة لحياة كريمة وآمنة حسب الأوضاع العقارية والأمكانات القيمية وبمشاركة مجتمعية .

الخدمات المجتمعية الحياتية والمعيشية ..

تنمية كافة الخدمات الأساسية بالأستغلال الأمثل للأراضي المتاحة وظروف المنطقة وتطوير شبكات الحركة والمواصلات والأتصالات .

الأمكانات الأقتصادية ..

تنمية الخدمات التجارية الحياتية والمعيشية وتطوير العناصر الانتاجية الخدمية وتوفير التمويل للمشروعات التنموية ، وتطوير المهارات من خلال برامج التدريب .

تصوير .. تامر شاهين

منهجية المشـــاركة ..

تتم المشاركة المجتمعية بشكل فردي أو جماعي ، وتتبلور الجماعية خلال كيان مؤسسي يمثل مجموع أفراد المجتمع ، تكون له شرعيته المجتمعية ووضعيته القانونية تعطيه الصلاحية في هذه الشراكة ، ويكتسب أهميته لدوره في مساعدة المواطنين بأختلاف طبقاتهم وفئاتهم للقيام بأدوارهم ، ولحماية حقوقهم ومصالحهم وتمثيلهم مع الجهات المعنية بالتنمية والتطوير والتمويل . ويعتمد تشكيل ذلك الكيان على إسقراء البنية العمرانية والإجتماعية للمجتمع والمنطقة وبنيتها المورفولوجية من وحدات متآلفة مجتمعياً ، وأختيار مندوبين لكل وحدة ليشكلوا تمثيلاً توافقياً أمثل للمجتمع ؛ وتتحقق منهجية المشاركة بتحديد الجهات المشاركة والمتعاونة في عمليات التنمية ، وهي ..

القطاعات الحكومية .. المسئولة عن المرافق والخدمات العامة وإدارة العمران وتنظيمه .

القطاع الخاص .. المشارك في مشروعات تنموية في إطار الرؤية المتوافق عليها للتنمية .

المنظمات غير الحكومية .. الجميعات العاملة بمجال التنمية والقائمة بالجهود الذاتية للمواطنين.

المؤسسات الأهلية .. متمثلة في السكان ومن يمثلهم للمساهمة فيما يتعلق بحقوق المواطنين .

منهجية الأستدامة والتمويل ..

تعتمد الأستدامة والتمويل على الأساليب الممنهجة من أجل جذب الموارد ، ويرتبط نجاحها بمدى شعور المواطنين بالتحسن الفعلي في معيشتهم . ومن المنهجيات الحيوية لتمويل عملية التنمية خاصة للأسر الأكثر فقراً مساندة الدولة والمنظمات غير الحكومية والجمعيات المجتمعية الإئتمانية والتعاونيات وما شابهها ، وتقديم القروض الصغيرة لتلك الشرائح المجتمعية بطريقة بسيطة في التطبيق وبإجراءات سداد مرنة ؛ وفي نفس الوقت تعمل المؤسسات المجتمعية والتعاونيات كضامن للأفراد في القروض التي يحصلون عليها ؛ وتركز منهجية التمويل عموماً على هذه التعاونيات بمساندة من الدولة وصناديق التمويل لأستمرار الحصول على التمويل والموارد المطلوبة .

آليـــات التنميـــة ..

آليـات العدالـــة ..

يتطلب تحقيق العدالة وضع الخطط التفصيلية وتحديد المشروعات المطلوبة لتنفيذ البرامج والسياسات المعتمدة للتنمية بهدف توفير متطلبات الحياة الكريمة والخدمات لجميع أفراد المجتمع بالكيفية المنشودة ، بالإضافة إلى صياغة وتوفير مصادر التمويل لتلك المشروعات في إطار خطة زمنية واضحة ومحددة . ويجب أن تتسق تلك الخطط والبرامج بالمحاور المشكلة لهذه الرؤية ومن خلال المشاركة المجتمعية الفعالة ، وتتحدد ملامح هذه الآليات فيما يلي ..

أختيار منطقة الدراسة ومجتمعها العمراني حسب أولويات التقييم االعامة .

أعداد الدراسات العمرانية والمجتمعية للوضع الراهن لمنطقة الدراسة مع المشاركة المجتمعية .

تحليل عناصر الدراسات مقارنة تحليلية مجمعة وتحديد القيم النسبية لتحقيق متطلبات المجتمع .

اعداد خطط وبرامج التنمية الشاملة والتفصيلية وآليات ومستندات تنفيذ مشروعات التطوير .

تحديد أولويات التنفيذ وتقدير المتطلبات المالية وتوفيرمصادر التمويل تبعاً وامكانات المجتمع .

آليـات المشاركة ..

تغطي آليات المشاركة مجموعات مختلفة من المجتمع لضمان أن تصبح مشاركة مجتمعية وليست مشاركة بعض أصحاب المصالح أوالمجموعات المهيمنة والمهتمة بمشروعات التنمية ، ومن خلال تلك المشاركة المجتمعية في عملية التنمية نحقق الأهداف المرجوة . وتبقى آليات المشاركة على مستويين الفردي المباشر والجماعي الممثل للبنى المجتمعية ويمكن تتبع العديد من الآليات وتطبيقها طبقاً لطبيعة المشاركة ومستوياتها وفاعليتها ومتطلباتها ، ومنها على سبيل الأسترشاد ..

- **الزيارات الميدانية والمسح الأجتماعي والسكاني والعمراني ..** لأستطلاع الرأي الفردي المباشر حول أحتياجات ومتطلبات أفراد المجتمع بكل تركيباته وطبقاته .
- **اللقاءات العامة في المنطقة محل التنمية والتطوير ..** لتبادل الرؤى والأفكار الأساسية مع أفراد المجتمع قبل وضع المقترحات التصميمية للمشروعات.
- **الأجتماعات المتخصصة بشئون العمران ..** للمشاركة في عمليات التنمية وصنع القرارت ، سواء أجتماعات عامة أو نوعية للوصول لرؤية توافقية بين المتخصصين وبين أفراد المجتمع.
- **برامج تدريب مجموعات من المجتمع ..** في المجالات المرتبطة بمشروعات التنمية ومتطلباتها التنفيذية ومتابعة تشغيلها وإدارتها ضماناً لأستدامة التنمية بآليات ذاتية فاعلة في المجتمع .

آليـات الأستدامة والتمويل ..

يمكن تحقيق الأستدامة من خلال أيجاد آليات للتمويل بشكل مباشر أوغير مباشر بالإضافة إلى ما يمكن أن تقدمه الدولة ضمن ميزانياتها وخططها لتلك المشروعات وهو حق أصيل للمجتمع ، ونقصد بالآليات المباشرة توفير التمويل اللازم لخطط ومشروعات التنمية التي تحددها الدراسات العمرانية والمجتمعية وسلم الأولويات ، وذلك عن طريق القنوات الأساسية التالية ..

هيئات التمويل الدولية المشروعة .. والتي لها صناديق خاصة لتمويل مشروعات التنمية.

هيئات التمويل المحلية .. العاملة في برامج التنمية سواء الرسمية أو المجتمعية والأهلية .

التمويل الذاتي .. وهو أشتراك أبناء المنطقة القادرين في التمويل ولو بشكل رمزي .

توفير امكانية الأقتراض .. لتنفيذ المشروعات التنموية المتناهية الصغر لمحدودي الدخل .

ونحدد الآليات غير المباشرة للأستدامة وحشد الموارد ، على سبيل الأسترشاد وليس الحصر في ..

- **المشاركة في الأرض ..** الأرض أحد أهم موارد برامج التنمية العمرانية والمجتمعية ، حيث أن السوق لا يسمح لذوي الدخل المحدود والفقراء والطبقات المتوسطة من الحصول عليها ؛ لذا تعتبر هذه أحدى آليات توفير الموارد من خلال المشاركة بين المالك والمقيم المنتفع .
- **تطوير الملكية العامة للأراضي ..** قيام الجمعيات الأهلية الممثلة للمجتمع بإستلام تلك الأراضي بسعر مدعم وتطويرها لفائدة محدودي الدخل ضمن مشروعات تنمية المنطقة .
- **تطوير القطاع الخاص للأراضي ..** ضمن الإطار العام للتنمية والحفاظ على النسيج الأجتماعي فتوسع مشاركة القطاع الخاص الأستثماري له تأثيره السلبي والدفع للفئات الأضعف للهجرة .
- **مراجعة وإصدار القوانين ..** المؤثرة على العلاقات البنيوية العمرانية ومنها قوانين التأجير والبيع وأعمال الهدم والصيانة والترميم ، والتخطيط العمراني وتراخيص البناء .. وغيرها .

الخلاصـــــة ..

يتطلب تحقيق هذه الرؤية تبني سياسات ووضع خطط عمل تفصيلية وبرامج تمويل تكمل بعضها البعض لتصبح أساساً للقيام بالمشروعات التنموية في المجتمعات العمرانية القائمة في مناطق محددة تعاني من مشاكل أو قصور ، ويتم أختيارها وتحديدها وفقاً لمعايير تقييم وأولويات التنمية الشاملة للمدينة من جهة ، وبما يتوافق والظروف المحلية لمنطقة الدراسة وبنيتها المجتمعية والعمرانية من جهة أخرى ، تحقيقاً للمحاور الأساسية لهذه الرؤية . وتتسم تلك الخطط والبرامج بأهداف محددة وبرامج زمنية للتنفيذ ، ومن خلال مشاركة مجتمعية فعالة ، وتتحدد الملامح الهيكلية فيما يلي ..

أعتماد الأستراتيجية العامة ووضع سياسات التنمية والمشاركة المجتمعية .

أختيار المنطقة حسب أولويات التقييم والتعريف بمنطقة الدراسة ومورفولوجيتها وقيمتها.

القيام بأعداد الدراسات العمرانية والمجتمعية للوضع الراهن في المنطقة ، وتشمل ..

- الدراسات العمرانية العامة لمنطقة الدراسة المباشرة والمجال العمراني الأشمل لها .
- تقييم الاوضاع السكنية الراهنة وكيفية تحقيق المسكن الملائم مع مشاركة السكان لتوضيح رأيهم واحتياجاتهم ومشاكلهم .
- حصر أعداد ونوعية الخدمات المتوفرة على مستوى حدود التطوير ومستوى المنطقة الاشمل وتحديد كفاءتها ومدي ملائمة الوضع الراهن لاحتياجات المجتمع وخدمته .
- تقييم الأوضاع والموارد والبنية الاقتصادية والانتاجية على مستوى حدود التطوير ومستوى المنطقة الاشمل وتحديد كفاءتها ومدي ملائمة الوضع الراهن لاحتياجات المجتمع وخدمته .
- القيام بمقارنة تحليلية مجمعة لعناصر الدراسات لتحديد القيم النسبية لتحقيق المتطلبات المعيشية.
- اعداد خطط التنمية الشاملة والتفصيلية وآليات التنفيذ ، وأعداد البرامج والمستندات التنفيذية .
- تقدير المتطلبات المالية والتكلفة التقديرية للمشروعات وتوفيرها ، ووضع الخطة الزمنية للتدفق المالي لتنفيذ الخطط المعتمدة ، وتقييم الجدوى الاقتصادية لبرامج وخطط ومشروعات التطوير.

الرؤيـة العامة لعمران مدينـــة إخميم الجديدة ..

مدينـــــة جديدة لتوطين مجتمع قديـــم أو قائم بعد تهجيره ..
أو أرتقاء عمراني وحضري لمجتمع قائم على أرض جديدة ..

توطئـــــة ..

مدينة إخميم أحد المراكز الإقليمية الفاعلة في التنمية الشاملة لمحافظة سوهاج وإقليم جنوب الوادي ، وهي من المدن القديمة التي يرجع تاريخها للعصور المصرية الفرعونية ، وقد شهدت إزدهاراً في فترات متلاحقة من التاريخ القديم وحتى العصر الوسيط مع الحضارة الإسلامية في القرن الثالث عشر والرابع عشر حين كانت واحدة من عواصم العلم والمعرفة في مصر .. وتشير الوثائق التاريخية وكتابات المؤرخين على تلك الومضات العمرانية والحضارية التي عاشتها أخميم ، كما تؤكد الآثار المكتشفة بالأمس القريب ـ بالرغم من محدوديتها نسبياً ـ عن عمق وزخم ما كانت تتمتع به المدينة بحقباتها المتواترة .

ولكن فقدت أخميم دورها ودخلت في نوع من السكون والبيات الشتوي في المرحلة المعاصرة ، ولم تشهد نمواً عمرانياً ومجتمعياً ملحوظاً من جديد حتى النصف الثاني من القرن العشرين وتحديداً مع مبادرات النهضة التنموية في أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن الماضي ، وسرعان ما تسارعت معدلات هذا النمو في العقدين الأخيرين مع تصاعد النزعات الإستثمارية الفردية الخاصة على حساب المصلحة المجتمعية العامة ، وأخذ الزحف والأمتداد العمراني غير المنضبط على الأراضي الزراعية عالية الجودة وفقدت المدينة والمجتمع قاعدتها الأقتصادية تدريجياً أو على أقل تقدير ضعفت سواء البنية الزراعية الريفية ، أو البنية الحرفية والصناعية الحضرية التي تميزت بها المدينة وخاصة النسيج الحريري والقطني الذي أكتسب شهرة واسعة محلياً وخارجياً ، وهو ما ترصده الدراسات من مشاكل وصعوبات تعاني منها ما يقرب من ثلاثمائة ورشة حرفية في هذا المجال بمدينة أخميم .

ومن جهة أخرى وفي إطار توجهات الدولة للحفاظ على الموروث التاريخي والحضاري القومي وإعادة أكتشاف المجهول منه وحمايته كتراث إنساني ومسئولية وطنية ، كانت التوصيات في التسعينات بأهمية أستكمال الكشف عن المدفون من هذا

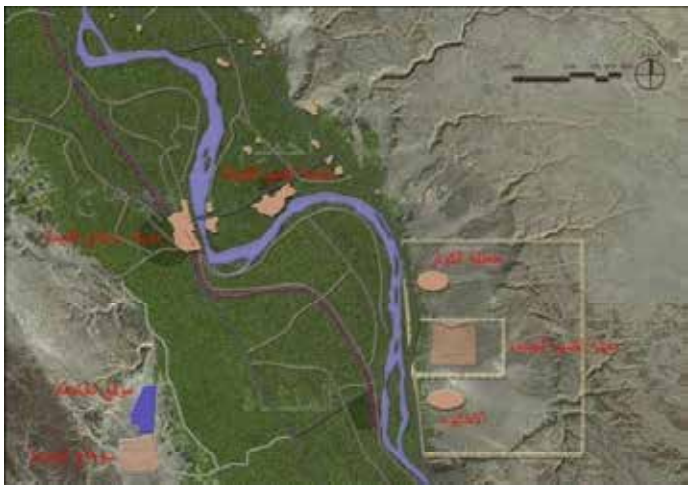

التراث الأثري تحت مدينة أخميم والذي يشير الظاهر منه إلى أهمية الباطن والغائب عنا حتى اليوم ..

وهو ما دفع بالدولة حينئذ بدراسة إمكانية تنمية مدينة جديدة تستوعب توطين ٦٤ ألف نسمة من السكان الحاليين لمدينة أخميم في تجربة جديدة لتهجير مجتمع قائم لخدمة هدف ورؤية قومية ترتبط أساساً بالأبعاد الحضارية والثقافية القومية متمثلة في حماية الموروث التاريخي للأمة والمجتمع والإنسانية ، على ذات النسق مع أختلاف الظروف والمبررات الذي عاشته بلاد النوبة على مراحل متواترة من بداية القرن العشرين مع إنشاء خزان أسوان وتعليته ، حتى الستينات مع تشييد المشروع القومي " مشروع السد العالي " ..

ومع قبولنا تحمل المسئولية المهنية لمشروع مدينة أخميم الجديدة في سنة ٢٠٠٤ بتكليف من الجهات المعنية ـ هيئة المجتمعات العمرانية بوزارة الأسكان ـ .

وأتساقاً مع إيماننا بدورنا المهني ومسئولية تلك الممارسة المهنية التي أرتضيناها كنهج مهني ورؤية نحلم من خلالها بمجتمع أفضل ، هي الضمان لقدرتنا على الأستمرار وواجبنا نحو المجتمع كان قراءتنا للمشروع ومدخلنا للقيام به وعليه ..

فهي رسالة نخاطب من خلالها المجتمع ونتحاور معه ؛ تتفاعل مكانياً بين الإنسان وبيئته وزمانياً بين الحديث والقديم

والأقدم .. بين الحادث والمنتظر ، فتكون المحرك لنا لنرسم من خلاله رؤيتنا لهذا النسيج العمراني المجتمعي ، تعبيراً عن عمارة الإنسان للمكان .

فالعمـران هو السبب والمصدر ..

أما المدينة هي النتيجة والمنتـج ..

وتشكل جدلية العلاقة بين السبب والنتيجة وجود المجتمع وهى ضمان هذا الوجود والعمران أول رواسمه وهما بذلك رسالة المجتمع ، ومسئولية العمراني المهني ...

فالمدينة في رؤيتنا تتشكل من حلقات متتالية في سلسلة حضارية عمرانية وثقافية ومجتمعية ، ومحورتطوير أي من تلك التجمعات العمرانية يكمن في تنمية مجتمعاتها وحقها في حياة أفضل مع أختلاف طبيعة وظروف هذه التجمعات والمجتمعات وتنويعاتها وما تحمله من أمكانات أو تعانيه من مشكلات ، تختلف الرؤى والمعالجات ويبقى الهدف الأرتقاء بالإنسان والمجتمع .

وتتحدد معالم هذه الرؤية في إستقراء الأنساق العمرانية التي عاشتها أي من هذه التجمعات ؛ معتمدين على فهم مورفولوجية عمرانها وتطورها ونموها والدور المجتمعي في هذا الحراك ويواكب هذا الوعي شمولية مجالات التطوير المجتمعي والعمراني ، وتعتمد هذه الرؤية على فهم واع لمحورين ..

البيئة الجغرافية ومعطيات المكان ..

الجذور التاريخيـة وذاكرة الزمان ..

وتحقق هذه الرؤية أهدافها من التنمية من خلال وضع منظومة تعتمد على إستقراء إشكاليات العمران وما تعانيه المجتمعات من ظواهر للتدهور والمشاكل ، وتتحدد برامج تنميتها بما يتوافق وظروفها وبنيتها المجتمعية والعمرانية ؛ وفي إطار شمولية مفهوم التنمية ذاتها والمحددة في محاور أساسية ، وهي ..

- العدالـــة .. حق المواطنين في حياة أفضل وحصولهم على الخدمات والمتطلبات المعيشية والحياتية بالكيفية والنوعية الموائمة لحياة كريمة ..
- المشـاركة .. مساهمة المواطنين في مراحل التنمية بالتعاون مع المؤسسات المعنية ، من خلال أطر مجتمعية مؤسسية لضمان إتساع وتعميق المشاركة الفعالة ..
- الأستدامة .. إيجاد القدرات الذاتية الفاعلة للمجتمع وأعتماد أساليب للتمويل من الدولة ، أو المنظمات غير الحكومية والجمعيات الأهلية والإئتمانية والتعاونيات ..

كما نحدد أهم ملامح رؤيتنا في مجال تنمية المجتمعات العمرانية الجديدة ومنها مدينة أخميم الجديدة .. في تنمية تلك التجمعات الجديدة كقطب عمراني جديد في تباعد مكاني محسوب مع تجمعات قائمة تعتمد على توطين مجتمع له متطلباته وحقوقه بكل ما يحمله من إرث ومشاكل وسلبيات وكذلك طاقات وإمكانيات وإيجابيات ؛ وتتكامل هذه الرؤية وتتداخل مع أهمية الجدوى الإجتماعية والمجتمعية في تنمية هذا التجمع الجديد لإستيطان مجتمع قائم أو مُهجر أو متنامي . وحتى لا تتحول العمليات التنموية إلى طرد عمراني لمجتمع محلي لخدمة تنمية قومية ، ونعرض التجربة التنموية لخطر الفشل والخروج عن إطارها ..

معتمدين على بناء الركيزة الأقتصادية المناسبة في الإطار الإجتماعي الحادث لخلق بيئة عمرانية منسجمة مع المكان وظروفة والمجال المحيط به ، وتتشكل رؤيتنا لعمران تلك التجمعات أنها ..

تجمعات جديدة لتوطين مجتمع قديم أو قائم ،

أوما نعبر عنه بصورة مجردة ..

إرتقاء عمراني لمجتمع قائم على أرض جديدة ..

هذه في مجملها هي رؤيتنا نحققها من خلال الممارسة المهنية .. وأعتماداً على موقع مدينة أخميم القائمة كأحد المراكز الفاعلة في تنمية محافظة سوهاج وإقليم جنوب الوادي عامة ، وما تحمله من تراث حضاري وما تتمتع به من الأمكانات المجتمعية والطاقات الكامنة للتنمية لهذا الموروث الثقافي والإجتماعي والأقتصادي ، فإن تطوير وتنمية مدينة إخميم الجديدة ومحيطها العمراني يعتمد على أن المدينة الجديدة أحدى التجمعات العمرانية التابعة للمدينة القديمة ، ودون أن نسقط الروافد التنموية الأساسية الأخرى ، بما يحقق التكامل ويرفع كفاءة التنمية بالمدينتين معاً في إطار مشروع للتنمية متوازن ومحسوب بين جناحي التنمية الشاملة ، ونقصد التنمية الأقتصادية والتنمية الإجتماعية القائمة على إعادة توطين السكان في المناطق العمرانية المستحدثة ،

والمدخل هنا هو التوافق الإجتماعي الأقتصادي الممكن والحتمي لضمان نجاح عملية التنمية الشاملة ، مع مراعاة المستويات العمرانية المعيشية المتدنية لمدينة إخميم القائمة مع أهمية مشاركة المجتمع .

ومن جهة أخرى فإن مدخلنا يعتمد كذلك على التوازن العمراني بين نمطي المجتمع : النمط الحضري والنمط الريفي ، اللذان يتجاوران ويتداخلان حتى داخل النسيج العمراني الواحد ، وما يفرضه ذلك من رؤية شاملة تحددها الدراسات ونؤكد عليها في المخطط العام لمدينة إخميم الجديدة بأعتبارها مركزاً حضرياً في المنظومة العمرانية للإقليم والمحافظة عموماً ..

ونحدد عموماً المحاور الرئيسية التالية كإستراتيجية عامة :

- حماية النسق الأثري والموارد الثقافية وتراث المنطقة ، والكشف عن المخزون الأثري الكامن تحت المدينة القديمة ..
- الحفاظ على الثروة والرصيد التنموي سواء بحماية الأراضي الزراعية من التعدي ، وكذلك تنمية الإرث الحرفي التقليدي للمدينة والإقليم ..
- تفعيل دور المجتمع وفعالياته سواء في إطار التنمية الإجتماعية أو الأقتصادية ليكتسب أهميته المحورية في تلك المضمار ، مما يلزم معه المشاركة المجتمعية الأيجابية والفاعلة حتى لا تكون للمخطط صفة السيادة الفوقية الخارجة عن البنية الإجتماعية وكيانات المجتمع المحلي .
- التكامل الإقليمي المخطط والذي يشجع على التنمية الأقتصادية المتواصلة والمستدامة ، ولاسيما في النطاق التأثيري المباشر لمدينة إخميم .. من خلال خلق مزيد من فرص العمل ..
- التفاعل الإيجابي بين المدينة ومجالها العمراني ولاسيما المرتبطة بالمحاور العرضية الواصلة مع إقليم البحر الاحمر بأعتبارها المكملة للمنظومة الأقتصادية ، دونما أن نسقط الأبعاد التنموية الإجتماعية وتأثيراتها على عمليات التنمية ..

الرؤية العامة لتنمية مدينة إخميم الجديدة ..

وتعتمد التنمية الشاملة في جانبيها الإجتماعي والأقتصادي وأمكانات نموها المنظورة في مدينة إخميم الجديدة على التكامل مع المدينة القائمة لأستيعاب التنمية الناتجة عن المشروع ، ومنها التنمية السياحية المتنامية بالمنطقة وبالتنسيق بين إقليمي جنوب الوادي والبحر الاحمر .. والتنمية الزراعية وترتبط بحماية الأراضي الزراعية القائمة والتوسع بالأراضي الصحراوية المجاورة للزمام الزراعي لمركز إخميم ، و ما يتبعه من إمكانيات لتنمية تصنيع زراعي مكمل لها .. بالإضافة إلى التنمية الصناعية والحرفية وهي تمثل أهمية لمدينة إخميم حيث تنتشر بها الصناعات الحرفية التقليدية وخاصة النسيج والذي يكتسب شهرة خاصة بها ، ويجب حمايتها وأستثمارها والتوسع في تنميتها لخدمة المدينة والإقليم والتنمية الشاملة (المستدامة) ..

تهدف تلك التنمية لإيجاد نوع من التوازن الأيكولوجي والعمراني مع المناطق القائمة في المجال العمراني .. ومن هنا تأتي حتمية التخطيط الفعال بصورة تكاملية حيث من المنظور نقل وتهجير حوالي ٦٤ ألف نسمة ، مضافاً إليه الفائض السكاني للمدينة القديمة والمقدر بحوالي ٥٤ ألف نسمة ، أي أن إجمالي عدد السكان المتوقع توجيهه إلى إخميم الجديدة حوالي ١٢٠ ألف نسمة مضاف إليها الزيادة الطبيعية للنمو السكاني .. وهكذا فإن مدينة إخميم الجديدة جزء من إستراتيجية إقليمية شاملة ، مما يتطلب عند وضع المخطط العام للمدينة خلق نوع من التوازن بين أقطاب التنمية القائمة أو المخططة والمستحدثة وخاصة القطبين الحضريين الأساسيين ..

مدينـــة سوهاج .. ومدينـــة إخميم ..

وبالتالي فإن ذلك يتطلب دراسة للدور العمراني لمدينة إخميم الجديدة في هذه المنظومة العمرانية ، برؤية تواكب المعطيات الآنية والمتطلبات المستقبلية لتحقيق كفاءة أقتصادية إقليمية ومحلية ، وبنية إجتماعية فاعلة للمجتمع المحلي ، وذلك في محورين متوازيين ..

- **الركيزة الاقتصادية ..**

مراجعة البنية الأقتصادية وإمكانية دعمها في تكامل إقليمي على المستويين الحضري والريفي ؛ الحضري من خلال التوازن والمشروعات التنموية السياحية بالإقليم وخاصة في مدينة إخميم القديمة وسوهاج ومنطقة أبيدوس الأثرية وتنمية الحرف التقليديــة المتوارثة ...

أما الريفي من خلال التنمية الزراعية وأستصلاح الأراضي الجديدة والتوازن مع المجتمعات الريفية القائمة والمستحدثة في المجال العمراني المباشر و النطاق العمراني الأشمل ..

- **الاطار الاجتماعي ..**

مراجعة البناء الإجتماعي للمدينة والقائم على إعادة توطين السكان ضمن سياسات الأحلال والتهجير ، ودعم الرؤية التنموية الإجتماعية المحلية بمشاركة المجتمع المحلي نفسه..

المدخل إلى المخطط العام لمدينة إخميم الجديدة ..

تعتمد رؤية تنمية مدينة إخميم الجديدة على حتمية التوافق بين قطبي التنمية : الإجتماعي والأقتصادي للوصول إلى تنمية شاملة ومستدامة حقيقية ، مع الربط بين عمليات التعمير والتنمية في إخميم الجديدة والتهجير المنظور في إخميم القديمة . فعمران إخميم الجديدة هو في حقيقته وصلبه مشروع تهجير إقليمي لمجتمع قائم بكل ما يحمله من جذور إجتماعية وثقافية وموروثات وآليات تنموية خاصة ، ثم إعادة توطينه وزراعته بذات الحيوية الديناميكية الإجتماعية و الأقتصادية والعمرانية ، حتى نضمن له الأستدامة المطلوبة ..

وتكشف عملية التهجير من إخميم القديمة عن بنية أقتصادية تنموية وقيمة مضافة للمنظومة القائمة بسوهاج تتمثل في الآثار والمواقع الاثرية المنظور خروجها إلى النور ، وما يترتب عليه من التوسع في تلك التنمية وما تمثله في إستراتيجية التنمية لمدينتي إخميم القديمة والجديدة على حد السواء وكذلك مدينة سوهاج بسبب التقارب المكاني والعمراني ، وهنا تتسع الرؤية لتشمل المدن الثلاث في حدود ما يتطلبه المخطط العام لمدينة إخميم الجديدة مع دراسة العلاقات التبادلية والتكاملية بين المراكز الحضرية ومجالاتها العمرانية ..

حيث تقع مدينة إخميم شرق النيل في مقابل مدينة سوهاج ويزداد أتساع السهل الفيضي في الجزء الشرقي للنيل ليماثل إتساعه في غرب النيل ، فنجد أن بعد مدينة أخميم عن حافة الصحراء الشرقية يكاد يساوي نفس بعد مدينة سوهاج عن حافة الصحراء الغربية بعكس الوضع في الوادي .

وتقدم مدينتا سوهاج وإخميم القائمة خدمات إقليميه لسكان التجمعات العمرانية في الحيز المحيط بهما وهذه الخدمات ذات مستوى لا يمكنها من الوجهه الوظيفية والأقتصادية من التمركز في هذه التجمعات مثل تواجد فرص للعمالة والأسواق ، ومن ناحية أخرى فإن مدينتي سوهاج وإخميم تستمدان قواعد حياتهما ومبررات وجودهما من خلال تبعية تلك التجمعات في الحيز المحيط لهما.

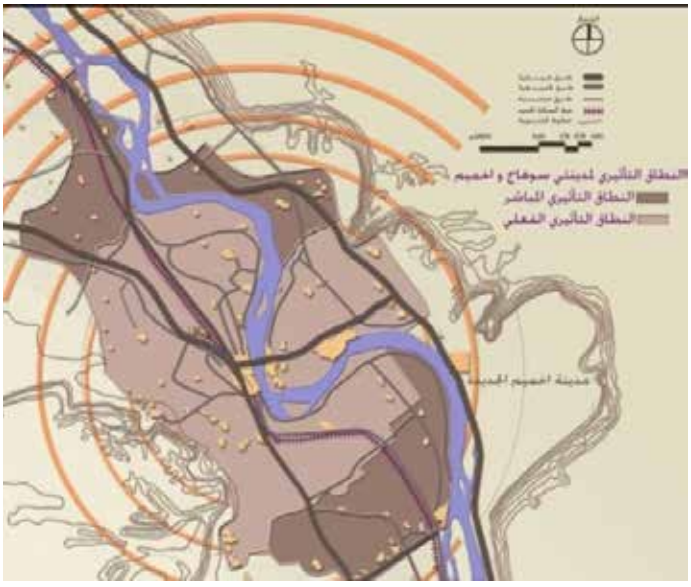

ومعه يتحتم أعتماد مدينة إخميم الجديدة ككيان أقتصادي على فرص العمل المتوالدة بداخلها سواء كانت في السياحة أو الخدمات بالإضافة إلي الأمكانات التصنيعية والحرفية الممكنة والمتوارثة أو المنقولة مع مجتمع إخميم القديمة بما يجعلها مدينة مستقلة عمرانياً أو إجرائيا بالرغم من أرتباطها وتكاملها مع إخميم القديمة وكذلك مدينة سوهاج ، والهدف التوازن بين المستحدث والموروث أقتصادياً وإجتماعياً .

ويتطلب ذلك إستقراء لمحاور التنمية الممكنة والمتاحة والتي تحقق الإستراتيجية العامة للإقليم ، والتي يمكننا تشكيل مورفولوجية عمران المدينة الجديدة وتهجير وتوطين المجتمع بها .

ونحدد هنا محاور التنمية الإقليمية في نسقين :

الأول : المحور الطولي ـ محور الوادي ..

وهو الموازي للنهر أو ذلك المحور المرادف له ويربط بين مراكز الإقليم الحضرية ومجالاتها العمرانية وهو محور

للتنمية الزراعية ، وما يقوم عليها من تصنيع زراعي وما يرتبط بها من تنمية عمرانية حضرية أو ريفية ..

فهو محور للإســـــتيطان ..

الثاني : المحور العرضي ـ محور الصحراء ..

وهو المتعامد مع النهر في عمق الصحراء الغربية أو سلاسل الهضبة الشرقية ويربط بين المراكز العمرانية بالإقليم ونظيرتها خارج الإقليم وهو محور للتنمية الحضرية العمرانية يعتمد على تنمية الخدمات لإستقطاب الفائض السكاني ..

فهو محور للهجرة السكانية ..

ويتكامل المحوران ليشكلان معاً منظومة عمرانية لتنمية مدينة إخميم الجديدة ، وتتحقق بهما الجدوى من إنشاء مدينة جديدة لها فاعليتها الإجتماعية والأقتصادية وبالتالي العمرانية .

موضع مدينة إخميم الجديدة شرق النيل

وهكذا تهدف تنمية مدينة إخميم الجديدة للخروج للظهير الصحراوي كقطب عمراني جديد في تباعد مكاني محسوب مع التجمعات القائمة أو التي تحت التطوير وهو ما له أهميته ، وتتطلع رؤيتنا أيضاً إلى توطين مجتمع قائم بكل ما يحمله من إرث ومشاكل وسلبيات وكذلك طاقات وإمكانيات وإيجابيات ، وفي هذه الجدلية يجب أن يكون تطوير البدائل ليس فقط طبقاً للمعطيات الطبيعية والبيئية والجدوى الأقتصادية لها بالرغم من أهميتها ، ولكن من الحتمي كذلك أن تدخل الجدوى الإجتماعية أو المجتمعية لإستيطان مجتمع قائم أو مُهجر .. وحيث أن تهجير سكان مدينة إخميم القديمة وإعادة توطينهم في مدينة جديدة تجربة متشعبة فإن ذلك يتطلب تعاون جهات إقليمية أو دولية لها أهتماماتها وخبراتها وبرامجها التنموية في هذا المجال ، وكذلك إمكانية تعاون ومشاركة المؤسسات الدولية الثقافية والتراثية المعنية باعادة أكتشاف المخزون الأثري بإخميم القديمة ، وهكذا فإن العملية بقدر محليتها المفرطة في توطين مجتمع إخميم فهي متصلة ببرامج ورؤى اقليمية ودولية .

المواقع الاثرية المكتشفة أومازالت تحت الكشف قيمة مضافة للتنمية بإخميم القديمة

وحتى لا تتحول التجربة والمشروع إلى عمليات تنموية قائمة على طرد عمراني لمجتمع لخدمة تنمية قومية على حساب المحلية ، وهنا قد نعرض المشروع والتجربة التنموية بأسرها لخطر الفشل أو الخروج عن إطار التنمية الشاملة في أحسن تقدير ، وتتشكل رؤيتنا ومدخلنا لعمـــران مدينة إخميم الجديدة إنها : **مدينة جديدة لتوطين مجتمع قديـــم أو قائم بعد تهجيره ..** والأمر هنا يتطلب مدخلاً مختلفاً نسبياً لمورفولوجية عمران المدينة ، و لكن يجب ألا نتناسى أننا امام حالة متوسطة بين تخطيط مدينة جديدة وتجمعات مستحدثة وما تحمله من متطلبات ورؤى ، وبين مدخل للإرتقاء الحضري لتجمعات ومجتمع قائم وهو ما يمكن أن نعبر عنه بصورة مجردة إنه : **إرتقاء عمراني وحضري لمجتمع قائم على أرض جديدة ..**

مما يلزم معه نوعا من الاختلاف في المدخل و المنهجية .. في النظرية والتطبيق ..

وهنا نؤكد حتمية ترسيخ **إستراتيجية اللامركزية والمشاركة في التنمية الشاملة كمفهوم متكامل** وهو ما يتطلب تدعيم التفاعل الإيجابي وهذا يتضمن أمرين : أولهما تحديد وتنفيذ الوضع الأمثل بين المركزية واللامركزية في ظل الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية والمؤسسية التنظيمية السائدة ؛ وثانيهما صياغة وتنفيذ برامج ترمي إلى التقدم بهذه الأوضاع نحو المزيد من اللامركزية وفي نفس الوقت تدعيم الفاعلية المجتمعية ، مما سيكون له الأثر الإيجابي في معالجة عوامل الضعف والدفع بحركة النهوض بكفاءة الخدمات والمنافع والمرافق العامة عصب التنمية العمرانية المباشر .. ومن جهة أخرى يجب أن تتضافر الجهود بين المؤسسات الرسمية في تكاملها سواء الأجهزة ذات الأختصاص بالمحليات أو المركزية المعنية بالتنمية والعمران ، لرسم السياسات وترجمة الإستراتيجية لخطط وبرامج متوافقة ، مع التنسيق بينها وبين مؤسسات المجتمع المدني بكل روافده ، وهو يتطلب إمكانية **المشاركة الشعبية والمجتمعية** مع المؤسسات المعنية . وقد قام فريق العمل بالفعل بلقاءات فردية وجماعية من خلال الزيارات الميدانية لأخميم القديمة لأستطلاع الرأي ومحاولة ترسيخ أهمية تلك المشاركة وتحديد الآليات الممكنة لتفعيلها ، وقد رسمت تلك الفعاليات صورة أدق للحالة المجتمعية بالمدينة القديمة ووضعيتها من الجوانب المختلفة ، ولكنها لم تحقق الهدف المرجو من تفعيل الأطر المؤسسية الشعبية للمشاركة بالرغم من وجود عدد من الجمعيات المحلية سواء ذات النشاط اللإجتماعي أو تلك التي تتسم بطبيعة أقتصادية أرتبطت بالأنماط الحرفية السائدة في المدينة .

إستراتيجية تنمية مدينة إخميم الجديدة ..

تعتبر إستراتيجية المجتمعات العمرانية الجديدة أحد بدائل سياسة التنمية الحضرية على المستوى الإقليمي والقومي وتكمن أهميتها في إنها تهدف للحد من ظاهرة الأستقطاب الحضري بمشاكله المتعددة مثل (التوسع على حساب الأراضي الزراعية ومشاكل الخدمات والمرافق ..) ، ومن ثم كان التوجه بإختيار مواقع ملائمة على حدود الصحراء في الأقليم وتوجيه مشروعات التنمية والسكان إليها في ظل التنمية الشاملة لتصبح مجتمعات جديدة ذات إكتفاء ذاتي إلى حد كبير ، ومن هذه التجمعات مدينة إخميم الجديدة . وتهدف إستراتيجية التنمية العمرانية تلك إلى توفير متطلبات الزيادة المتوقعة في سكان الحضر من توسعات عمرانية بعيداً عن الأراضي الزراعية .ويعتبر القرب النسبي للمواقع المقترحة للمجتمعات الجديدة في المجال العمراني لمدينتي سوهاج وأخميم من التجمعات العمرانية الحالية أحد الدلائل التي تساعد على نجاح تلك الاستراتيجية للتنمية العمرانية للمجتمعات الجديدة في المناطق الصحراوية المحيطة .

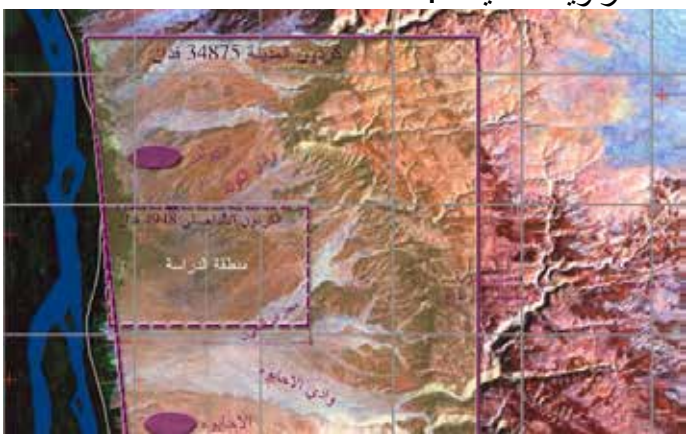

كردون المدينـــة ٣٤٨٧٥ فدان
الكـــردون الداخلي ٤٩٤٨ فدان
الكتلة العمرانيـــة ١٦٠٠ فدان
لتوطين ١٢٠ الف ساكن

وتعتمد دراسة تخطيط وتنمية مدينة إخميم الجديدة في هذا السياق على نتائج مجموعة من التوصيات للدراسات المتخصصة التفصيلية والميدانية ، ومنها الدراسات الجيوتقنية والجيولوجية والدراسات الطبيعية والمناخية والبيئية ؛ بالإضافة إلى الدراسات الأقتصادية والإجتماعية .

برامج التنمية الإســكانية :

تهدف برامج التنمية الإسكانية عموماً بمدينة إخميم الجديدة إلى تحقيق الكفاءة الإسكانية مع الأخذ في الإعتبار الأمكانات والمحددات ، وقد أضطلعت الدولة خلال عقود ماضية بالدور الرئيسي في تنفيذ وتطوير تلك البرامج منفردة وبنهج فوقي ، وبالرغم ما قد تنطوي عليه تلك السياسات من نوايا طيبة أو رؤى إجتماعية تنموية لخدمة المجتمع إلا أن بعض هذه التدخلات كانت تؤدي أحيانا إلى أرتفاع التكلفة على المدى

الطويل ، الأمر الذي أثر سلباً على البرامج والقدرات التمويلية لها وبالتالي جدواها الأقتصادية ، حسب تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٤ .

ومن البرامج الإسكانية التنموية المقترحة لمدينة إخميم تبني سياسات تنموية إسكانية جديدة لبناء مساكن منخفضة التكاليف تعتمد فلسفتها على أن تسترد الحكومة تكلفة البناء من بيع أراضي أو وحدات سكنية لذوي الدخل فوق المتوسط ، ويمكن للدولة أن تدعم هذا البرنامج عن طريق تقديم أو تيسير قروض منخفضة الفوائد ..

بالإضافة أنه يمكن تشجيع الصناعات الصغيرة والحرفية لشغل الطوابق الأرضية لوحدات الاسكان منخفضة التكاليف بالتعاون مع الجهات المختصة لمنح قروض صغيرة ميسرة ، مما يشجع على الإستقرار ويكون نقطة جذب لأستقطاب الهجرة السكانية من مدينة إخميم القائمة ، وهو المقترح تطبيقه في مدينة إخميم الجديدة بتنمية منطقة اسكان للحرفيين لاسيما حرفيي النسيج اليدوي التقليدي لتنمية مجتمع منتج ، وفي إطار تعاوني يحكمه تجمع مؤسسي في شكل جمعية غير حكومية أو تجمع نقابي محلي ، وهو ما تم طرحه مع عدد من العاملين بالمجال الحرفي نفسة خلال الزيارات الميدانية ، ولكن للأسف نتيجة للمعوقات لم نتمكن من تفعيل هذه الأفكار بالرغم من تبني المخطط العام لفكرة تنمية منطقة سكنية حرفية تزاوج بين السكن والإنتاج .

وهناك على التوازي برنامج للتنمية الإسكانية من خلال تمويل القطاع الخاص لمشروعات اسكان التعاونيات تتولى الجمعيات الأهلية فيه إدارتها في إطار برامج للدعم المتبادل والتكافل المجتمعي .

وتمثل تلك الآليات محوراً أساسياً في برنامج التنمية الإسكانية لمدينة إخميم الجديدة ، ويشجع قانون التمويل العقاري رقم ١٤٨ لسنة ٢٠٠١ الفئات منخفضة الدخل على تنمية الملكية من خلال تقديم قروض ميسرة لعملية التنمية الإسكانية . تهدف الدراسة إلى تحديد الفئات المختلفة للإسكان ، وأنه يتوقع أن تشكل فئات الدخل المرتفع وفوق المتوسط معاً عند أكتمال المدينة حوالى ٣٣ ٪ ، في مقابل حوالي ٣٧ ٪ للإسكان المتوسط ، و٣٠ ٪ للإسكان الأقتصادي والحرفي ، وبإعتبار متوسط عدد أفراد الاسرة عند اكتمال نمو المدينة في المتوسط ٤ فرد / أسرة يكون هناك الحاجة إلى توفير ٣٠ ألف وحدة سكنية ..

وجدير بالتنويه التأكيد على أهمية اللامركزية في تقديم الخدمات عامة والإسكانية خاصة كتوجه إستراتيجي يحتاج إلى تطوير أداء وحدات الإدارات المحلية وإعطائها سلطات أكبر على الموارد وأعطاء المجالس الشعبية المنتخبة سلطات إشرافية على السلطة التنفيذية بتلك المحليات ، لإرساء المزيد من المشاركة الشعبية مستقبلاً في صنع القرار وتنفيذ برامج التنمية ، لهذا الغرض من الضروري تحسين الروابط بين مؤسسات الدولة المعنية ومنظمات المجتمع المدني وتمكين الجمعيات الأهلية والتعاونيات من تلبية الأحتياجات المتنامية للسكان بما يحقق الكفاءة السكنية للمجتمع ..

البدائل التخطيطية الهيكلية لتنمية مدينة إخميم الجديدة ..

يجب أن تحقق البدائل الهيكلية لمدينة إخميم الجديدة الأهداف الاستراتيجية الإقليمية والتي تعتمد في نسقها الأساسي للتنمية على محاور تتكامل مع المعطيات الراهنـــة للعمران بمستوياته المختلفة وهما ..

محور الـــوادي ..

ومحور الصحـراء ..

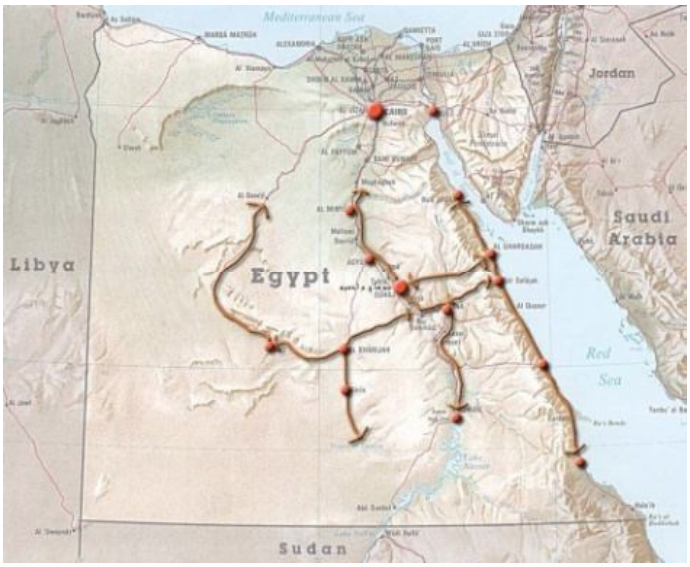

ومن خلال هذا النسق التنموي يقوم تنمية مدينة إخميم الجديدة على قاعدة أقتصادية وإجتماعية متوازنة محلياً وإقليمياً ، وتم تحديد في هذا المجال أنماط التنمية الأقتصادية التي تشكل كل منها منفردة أو مجتمعة إمكانية القوام الأقتصادي للمدينة الجديدة وهي التنمية السياحية ، والتنمية الصناعية الحرفية والتصنيع الزراعي ، والتنمية الخدمية ، بالإضافة للتنمية الزراعية .

وتنتهي الدراسات إلى تحديد الطاقة السكانية للمدينة بحوالي ١٢٠ ألف نسمة مما يتطلب توفير حوالي ٢٨ ـ ٣٠ ألف فرصة عمل جديدة من خلال القوام الاقتصادي ضمن خطة تنمية المدينة ،وتم وضع ثلاثة بدائل هيكلية لكل منها اتجاه من حيث الفكر التخطيطي والتشكيل المورفولوجي ..

البـــديل الأول للمخطط الهيكلي ..

يرتكز هذا البديل على التنمية المحورية المتعامدة للنيل على ثلاثة محاور عرضية متوازية تعتمد على تنمية مستقرات عمرانية محدودة لإستقطاب الفائض السكاني بالمنطقة تتكامل مع المركز الحضري لإخميم القائمة ، ويعتمد القوام الأقتصادي على التنمية الزراعية بالإضافة إلى إستكمال المنظومة الأقتصادية بمشروعات تنمية التصنيع الزراعي ، وما تتطلبه من التخزين والنقل أعتماداً على محور الغردقة – سوهاج ، وإرتباطه بالنقل البحري بموانئ البحر الاحمر . وتتحدد وظيفة المدينة الجديدة في التكامل مع الوضع القائم بإعتبارها تجمع بين نمطي العمران الحضري والريفي وتتكامل مع المشروعات التنموية القائمة والمقترحة ولاسيما مشروعات التصنيع الزراعي حول المحور الطولي مع تنمية بعض الصناعات الحرفية التقليدية داخل كيانات المدينة نفسها.

البـــديل الثاني للمخطط الهيكلي ..

يعتمد البديل على الأهمية المركزية الإقليمية لمدينتي أخميم وسوهاج والتكامل بين القائم ومتطلباته وبين المقترح بإعتبار التوازن الخدمي والعمراني على مستوى الإقليم ، وهكذا يتشكل الكيان الهيكلي للمدينة الجديدة من تركيب حلقي على مستويين : الأول يضم المدينة الجديدة ومنطقة الكوثر بالاضافة إلى كيانات مدينة أخميم القديمة في إطار مخطط عام شامل ، أما الحلقية الثانية فتضم المجال العمراني الأوسع للمدينة وتعتمد على تعامد المحورين التنمويين : الأول المحور المتعامد الغردقة سوهاج ويربط شرق وغرب النيل مع مراعاة الامكانيات التنموية السياحية حول هذا المحور وضمن المجال العمراني ، أما المحور الثاني الموازي للنيل ويرتبط بالتنمية الزراعية التقليدية يمتد على الحدود الغربية للمدينة وحلقتها المركزية يشكل شريان إقليمي حيوي لربط المدينة كمركز إداري وعمراني بسائر المراكز العمرانية بالمحافظة والإقليم .

البـــديل الثالث للمخطط الهيكلي ..

تتكامل هنا القوامات الأقتصادية النوعية الثلاثة وهي : التنمية الزراعية والتنمية الصناعية بإختلافاتها بالإضافة إلى التنمية السياحية ، ولا يسقط هذا البديل الأهمية المحورية لمدينة إخميم ومدينة سوهاج كعاصمة للمحافظة وأحد المراكز الإدارية الأساسية في الإقليم ولكن تتكامل التنمية العمرانية للمدينة الجديدة مع التنمية الممكنة والمقترحة للمدن القديمة ليشكل المجموع معاً هيكل حيوي كمركز عمراني متكامل .

بالإضافة لإمكانيات تنمية مستقرات عمرانية نموذجية محدودة مرتبطة إجتماعياً وإقتصادياً بأنماط التنمية المقترحة حول المحور الموازي للنهر وخاصة نمطي التنمية الزراعية من جهة كأمتداد طبيعي للوضعيات القائمة والتنمية الصناعية ومتطلباتها الخدمية العمرانية الأساسية وتصبح بذلك نموذجاً للمنظومة العمرانية والإسكانية التي تتكامل فيها البنية الحضرية والبنية الريفية التي تعتبر من أهم سمات وملامح البناء الإجتماعي .

وقد تبين من التقييم أن البديل الثالث هو أفضل البدائل التخطيطية كمدخل عمراني وتنموي حيث أنه أكثر البدائل توافقاً والوضعيات الراهنة ويتسم بإمكانات تكاملية وشمولية للقوام الأقتصادي والإجتماعي للمدينة . ويعتمد البديل المرجح لتنمية المدينة على إمكانيات التنمية وخططها المرحليه مع ترسيخ دور المشاركة والعمل الجماعي للمجتمع بما يمثله من أهمية قصوى في تعزيز وتوسيع اللامركزية في اتخاذ القرارات وتحسين الخدمات ومراقبة برامج التنمية .

وهكذا كان من المفترض وضع **المشاركة المجتمعية** ضمن أولويات الرؤية التخطيطية لتنمية مدينة أخميم الجديدة وفي اطار السياق العام والإستراتيجية الجديدة التي تنهجها الدولة في المرحلة القادمة وهو ما يتطلب مسقبلياً آليات تنفيذية مختلفة تحقق تلك الرؤى والإستراتيجيات .

المخطط العام والبناء المورفولوجي لمدينة اخميم الجديدة

تتشكل مورفولوجية المخطط العام لمدينة إخميم الجديدة من بناء محوري في صورته المتكاملة يتعامد مع الوادي الضيق شرق النيل وينطلق غرباً في إتجاه الجذب الإقليمي نحو الظهير الصحراوي ولاسيما محور التنمية المنظور سوهاج ـ الغردقة ، ومع هذا التوجه من المقترح تطوير شريان للحركة الإقليمية إلى الغرب ، وتمثل المدينة بهذا الشكل محور ربط ومدخل إقليمي غربي للنطاق التأثيري المباشر الذي يشمل بالإضافة إلى إخميم الجديدة وإخميم القديمة منطقتى الكوثر والأحايوة و مدينة سوهاج العاصمة ومدينة سوهاج الجديدة والجامعة .. منظومة إدارية وخدمية أقليمية وتنموية مركزية لمحافظة سوهاج . أما البناء الداخلي لتشكيل المدينة فيتشكل من محور

حلقي يمثل الشريان التنموي للمدينة الجديدة والعصب الخدمي تتكامل معه وحوله التجمعات العمرانية للمدينة نفسها ، وهي بذلك تتبع ذات النسق العمراني الأساسي لموفولوجية العمران على المستوى الإقليمي ويتدرج حتى المستوى المحلي .

ونحدد أهم ملامح البناء المورفولوجي لمدينة إخميم الجديدة على النحو التالي :

تتركب المدينة من وحدات جوار عمراني تتفاوت مستوياتها الاسكانية وتتجاور في تكامل وتفاعل حضري حول محاور ثانوية متعامدة مع الشريان الخطي الحلقي الرئيسي للمدينة ، وتمثل تلك مراكز خطية خدمية على المستوى المحلي للتجمعات العمرانية ، ويصل الحجم السكاني لوحدة الجوار العمراني ٣٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ساكن أى ما يمثل ٧٥٠ ـ ٨٥٠ أسرة .

يتشكل البناء العمراني لوحدة الجوار من ٣ ـ ٤ مجموعات سكنية ، تنمو في تركيب خطي أيضا متعامد مع الشريان الرئيسي التجميعي ، وهو ما يحقق مواءمة محسوبة بين حركة المشاة وإيقاعاتها الإنسانية وبين حركة السيارات المحلية لخدمة التجمعات الاسكانية .تتجاور الوحدات العمرانية شريطياً حول محور الخدمات التجميعي عصب الحياة المحلية ، وتنفتح عليه وحدات الجوار ببنائية مختلفة حسب ظروف الموقع ومحدداته ، ويتراوح عددها بين ١٥ ـ ١٨ وحدة عمرانية تشكل في مجموعها وتجاورها قطاع عمراني متجانس ، بحجم سكاني للقطاع العمراني بين ٥٥ ـ ٦٥ الف ساكن وتتشكل المدينة من قطاعين عمرانيين يكتسب كليهما خصائص تمايزية تكسبه ذاتية غير متنافرة بل متناغمة مع الرؤية العامة .يقوم العصب الخدمي بدور عمراني حيوي في القطاع العمراني ، وتتواصل من خلاله العلاقات التبادلية الإجتماعية والعمرانية الحضرية كنسق تنموي عام ، ويتحقق ذلك من خلال تخصيص الانشطة الخدمية والأستعمالات العامة بما يحقق الكفاءة العمرانية .

يتكامل القطاعان العمرانيان لبناء المدينة بما يتوافق ويتلاءم مع توصيات الدراسات المتخصصة ، وتنفصل تلك البنية الإجتماعية والإسكانية بتراكيبها المتواترة وخدماتها العمرانية عن مناطق التنمية الأقتصادية بالرغم من تكاملها معها في إطار التنمية الشاملة .يخصص المخطط العام للمدينة المناطق التنموية حسب متطلباتها وهي تتمثل في منطقتين : منطقة التنمية السياحية ومنطقة تنمية صناعية حرفية .. وتتوافق تلك المنطقتان مع عمران المدينة مع مراعاة الأثر البيئي ، ويكمل تلك المنظومة التنموية إمكانية الأمتدادات التنموية الزراعية جنوب المدينة كأمتداد للزراعات القائمة . تعتمد شبكات الحركة على نفس البناء الهرمي المشكل لكيانات المدينة حيث يفصل بين المناطق الإسكانية والعمرانية طرق الحركة الآلية المجمعة ـ الموزعة ، ونظرا لطبيعة السكان فان الاعتماد الأكبر سيكون علي وسائل النقل العامة والجماعية .

أعتمد المخطط العام المعايير التخطيطية المقترحة وعبر عنها في التشكيل العمراني وتحديد الأستعمالات والأنشطة العمرانية في توازن يحقق الكفاءة القصوى لأقتصاديات العمران من جهة ، ومن جهة أخرى الراحة المنشودة للإنسان ساكناً ومستوطناً لتلك المناطق .يحقق المخطط العام التوازن بين الارض والبيئة والنشاط السكاني من خلال وحدة تصميمية حضارية أساسية لاسيما في الوحدات المخصصة للإسكان الأقتصادي .يشمل المخطط العام تحديد مناطق الأمتداد العمراني والسكني في المستقبل المنظور ضمن الحيز العمراني الحالي والمرتبطة بمحاور التنمية الأساسية للمدينة والمتجهه إلى الشرق .

ومن كل ما سبق تشكلت رؤيتنا ومدخلنا لعمران مدينة إخميم الجديدة إنها : **مدينة جديدة لتوطين مجتمع قديـــم أو قائم بعد تهجيره ..** والأمر كما أسلفنا يمثل مدخلاً مختلفاً نسبياً لمورفولوجية عمران المدينة بعيداً عن الفكرة المجردة لنظرية المجاورة السكنية كوحدة عمرانية اساسية ..

كما لكننا امام حالة متوسطة بين تخطيط مدينة جديدة وتجمعات مستحدثة وما تحمله من متطلبات ورؤى ، وبين مدخل للإرتقاء الحضري لتجمعات ومجتمع قائم وهو ما عبرنا عنه :

إرتقاء عمراني وحضري لمجتمع قائم على أرض جديدة ..

مما يلزم معه نوعا من الاختلاف في المدخل والمنهجية .. في النظرية والتطبيق ..

كما تأتي **المشـــاركة المجتمعية ..**

ضمن أولويات الرؤية التخطيطية لتنمية مدينة أخميم الجديدة ، وفي إطار السياق العام والإستراتيجية الجديدة التي يجب أن تنتهجها الدولة في المرحلة القادمة حول ..

التوازن بين المركزية واللامركزية ..

وهو ما قد يتطلب مستقبلياً آليات تنفيذية مختلفة تحقق تلك الرؤى والإستراتيجيات على المستوى القومي للدولة في المراحل القادمة .

للمزيد عن مشروع " تخطيط مدينة أخميم الجديدة "
http://www.walycenter.org/en/research/studies

مالك بن نبي .. وميلاد جديد للمجتمع العربي ..

شيماء شاهين

" التاريخ لا تصنعه الصدف ولا مكائد الاستعمار ولكن ما تصنعه الشعوب ذاتها في اوطانها .."

كان الايمان بما تصنعه الشعوب هو ما دفعه لمطاردة الحلم بميلاد جديد للمجتمع العربي ..
ميلاد يحرر الوطن العربي من اغلاله و ينهض بالمجتمع من سباته الطويل ..
ميلاد يمحي مرارة الغربة داخل حدود الوطن والاغتراب خارجها ..
ميلاد يعيد للأفراد كرامتها وللاوطان امجادها ..
ميلاد لن يصنعه الا الشعوب المؤمنة بقدرتها على الفعل وبقدرة هذا الفعل على صناعة التاريخ ..
ميلاد مجتمع هو بعضا من رؤيا حالمة للمجتمع العربي كما يجب ان يكون ، جمعت في ثناياها بين استقراء صاحبها لتاريخ وطنه الكبير ودراسة حاضره .
بين رسم صورة مستقبلية لآمال هذا الوطن وطموحاته وبين تأمل إشكالياته وفهم معوقات تحقيق تلك الامال ..
بين لمس اسباب ضعف الوطن وتمزقه وبين رؤية موطن قوته وآليات نهضته ..

صاحب الرؤية والحلم هو : مالك بن نبي

مالك بن نبي(١٩٠٥-١٩٧٣)المفكر العربي الجزائري .. ولد في الجزائر وتوفى على ارضها وما بين الميلاد والوفاة عاش رحلته من الجزائر الى فرنسا ثم الى القاهرة واخيرا الى الجزائر مرة اخرى ..
قضى سنوات صباه وشبابه الاولى في الجزائر محاولا ان يكرس طاقاته لمساعدة بلاده الا انه سرعان ما ادرك حاجته الى تدعيم تلك الطاقات بالعلم والخبرة ..
فقرر السفر الى فرنسا للدراسة والعمل ليشاهد هناك ارقى مظاهر التحضر التي طالما افتقدها في بلاده المستعمره من الفرنسيين انفسهم في ذلك الوقت .. الامر الذي دفعه خلال سنوات معيشته في فرنسا الى دراسة وتأمل تلك المظاهر وتوجيه طاقاته لفهم مقومات تلك الحضارة ومعوقاتها وللاجابة على سؤال كيف يمكن ان ننقل بلادنا الى تلك الحضارة ..
ساعدته تجربته الثرية وموهبته في البحث والتعلم على توجيه فكره ناحية الاجابة على سؤال :
كيف تنهض مجتمعاتنا العربية ؟؟
وجاءت ثورة ٢٣يوليو عام ١٩٥٢ لتمثل في حياته حدا فاصلا وميلاد جديد لممارسة فعلية للكفاح من اجل تحرير الوطن العربي كله ..
ولوضع اولى لبنات بناء الوطن العربي الكبير التي طالما رسم في مخيلته الكثير من ملامحها وهو في غربته .. فقد كانت السبب والحافز وراء عودته لموطنه لمشاركة اخوانه في الكفاح من اجل تحرير بلادهم والنهوض بها من جديد ..
وكانت معاصرته لأحوال الوطن قبل وبعد تلك الثورة ودراسته لمسار حركة المجتمع في ظلها من أكبر المؤثرات التي ساهمت في نضج فكره ورؤيته للاجابة على سؤال النهضة ..
صحيح انه بدأ عمله الفكري الكبير قبل قيام ثورة يوليو عندما كتب في عام ١٩٤٦ " **الظاهرة القرآنية** " وهو العمل الذي يمثل استجابته لما عاصره من التوجهات الدينية المنتشرة بين الشباب العربي وقتها والذي رأى مالك بن نبي فيها الشغف الشديد للاحتماء بالدين في مواجهة تحديات العصر ولمح في الوقت نفسه فيها الخطر من مرجعيات هذا الاحتماء ، فحاول من خلال هذا العمل مناقشة ظاهرة الاحتماء بالدين عموما وبالدين الاسلامي بوجه خاص وفي الوقت نفسه بدء عمل يقدم فيه رؤيته الخاصة للكثير من المفاهيم الدينية ..
وكانت تلك خطوته الاولى على درب التغيير والميلاد الجديد للمجتمع العربي ، بدأها انطلاقا من تصحيح رؤية المجتمع للدين ومفاهيمه وفتح باب الاجتهاد فيه واعمال العقل من اجل ممارسه حقيقية لهذا الدين ، تلا هذا العمل بكتابه " **شروط النهضة** " كخطوة ثانية على ذات الدرب نحو ميلاد المجتمع

العربي عموما ووطنه الجزائر بصورة خاصة .
الا ان خطواته على هذا الدرب اتخذت ايقاعا مختلفا بعد قيام ثورة يوليو ..
ويمكن القول انها كانت الانطلاق الفعلي للعمل الذي كرس له بقية حياته و هو : **مشكلات الحضارة** ..
وتحت هذا العنوان الرئيسي جاءت اعمال مالك بن نبي المختلفة والمتنوعة ولكنها تصب جميعها في محاولة التخطيط لنهضة المجتمع العربي ودراسة العوامل المؤثرة فيها سلبا وايجابا ليقدم بذلك مساهمته الخاصة في تلك النهضة .
سواء كان ذلك من خلال اعماله التي ناقش فيها مشكلات وطنه الجزائر و المجتمع العربي المتعلقة بماضيه مثل" **آفاق جزائرية** " و " **الصراع الفكري في الدول المستعمرة** " و" **بين الرشاد والتيه** و**القضايا الكبرى**" ، او مشكلات حاضره مثل" **مشكلة الافكار** و**مشكلة الثقافة**" و"**حديث في البناء الجديد**" و "**ميلاد مجتمع**" **و** غيرها من الاعمال التي درست وحللت الواقع العربي بكل اشكالياته ، وقارنت بين تعامل المجتمع العربي مع تلك الاشكاليات وتعامل غيره من المجتمعات التي سبقته على طريق النهضة او بالنسبة للاعمال التي طرح فيها الكثيرمن الافكار النهضوية القومية مثل **"الفكرة الافريقية الآسيوية"** و**"فكرة كومنولث اسلامي"** والتي حاول من خلالهما في الخمسينات تقديم رؤيته لأهمية التحالف بين القوى سواء على مستوى الدول العربية او على مستوى الدول النامية جميعا وتكوين جبهة جديدة تحقق لتلك الدول تحررها ونهضتها وميلادها الجديد .
وكانت محاولات مالك بن نبي للمشاركة في نهضة المجتمع العربي نابعة من ايمانه بدور الفرد في تغيير مصير مجتمعه والعكس .
ولانه مهما كانت محاولات اي فرد جادة وصادقة فانه لن يتسنى له ان يحقق وجوده وذاته بانفصاله عن مجتمعه **فالفرد يحقق ذاته بفضل ارادة وقدرة ليستا نابعتين منه بل ولا تستطيعان ذلك وانما تنبعان من المجتمع الذي هو جزء منه .واذا ما ركن لقدرته وحدها وارادته وحدها فان هذا الفرد المنعزل والمنقطع عن كل اتصال بجماعته يصبح مجرد قشة ضعيفة رغم كل وسائل التزيين الادبي .**
فالفرد والمجتمع كيان متشابك ومصير مشترك و في الوقت نفسه المجتمع **ليس مجرد مجموعة من الافراد ، بل هو تنظيم معين ذو طابع انساني يتم طبقا لنظام معين ..**
وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم على عناصر ثلاثة :

- **حركة يتسم بها المجموع الانساني .**
- **انتاج لاسباب هذه الحركة.**
- **تحديد لاتجاهها .**

وهذه هي العوامل الثلاثة التي يدين لها مجموع انساني معين بخصائصه الاجتماعية التي تحيله مجتمعا بالمعنى المنطقي للكلمة .
بمعنى ان الجماعة الانسانية انما **تكسب صفة المجتمع عندما تشرع في الحركة ، اي عندما تبدأ في تغيير نفسها من اجل الوصول الى غايتها ..**
اما الجماعات الساكنة فان لها حياة اجتماعية دون غاية ، فهي تعيش في مرحلة ما قبل الحضارة .
او تظل دائما ما قبل ميلاد المجتمع
اذن المجتمع كيان دائم الحركة والتغير ..
و حركة الجماعة **تؤدي بها اما الى شكل راق من اشكال الحياة الاجتماعية ، واما ان يسوقها على عكس ذلك الى وضع متخلف .**
وهكذا ، فان امام كل مجتمع غاية ، لا يملك الا الحركة نحوها او بعيدا عنها ..
فهو يندفع في حركته اما الى الحضارة واما الى الانهيار .
وفي مقابل ذلك نجد انه حينما تنعدم الحركة ، فان الجماعة الانسانية تفقد تاريخها : اذ تصبح .. ولا غاية لها .
وممارسة المجتمع لحركته الحتمية نحو قدره هي ما يسميها مالك صناعة التاريخ ..
والتي يتحكم فيها تأثير عوالم ثلاثة هي :
- تأثير عالم الاشخاص
- تأثير عالم الافكار
- تأثير عالم الاشياء
بمعنى ان تاريخ اي مجتمع ينتج من تكامل مقومات اولية ثلاثة .. الانسان ، الفكرة ، المادة ..
الانسان .. الوحدة المكونة للمجتمع
الفكرة.. وهي الثروة الحقيقية للمجتمع
المادة .. هي الوسيلة التي تطوعها الفكرة لتحقيق غايات الانسان

والعمل التاريخي بالضرورة من صنع الاشخاص والافكار والاشياء جميعا ، وذلك يعني ان احدهما فقط لا يكفي. وطغيان احدهما على الاخر يؤدي بالضرورة الى اخلال لتوازن المجتمع .. ويعني ايضا انه لا بد من توافر الصلات الضرورية لربط هذه العوالم الثلاثة ببعضها البعض لتشكل كيانا عاما وتنتج عملا مشتركا ..

هذه الصلات التي تربط بصورة متداخلة ومتكاملة كلا من الاشخاص والافكار والاشياء هي عصب المجتمع وهي ما يطلق عليها مالك بن نبي : **شبكة العلاقات**

وهي من الأهميه لديه بحيث يضعها دائما على قائمة اولويات التغير الاجتماعي حيث يرى انه **اذا كان العمل الاول في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فردا Individu» " الى ان يصبح شخصا Personne» " وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع الى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع .**

فإن فعالية هذا التغيير مشروطة بتكامل شبكة العلاقات بين الافراد وبعضها وبين الافراد والافكار وبين الافراد والافكار والاشياء ..

والامر نفسه بالنسبة للافكار .. **وصحيح ان غنى المجتمع يقاس بما يملكه من افكار لا اشياء وقد يحدث ان تلم بالمجتمع ظروف أليمة كأن يحدث فيضان او تقع حرب ، فتمحو عنه عالم الاشياء محوا كاملا ، او تفقده السيطرة عليه ، فأذا حدث ان فقد المجتمع السيطرة على عالم الافكار كان الخراب ماحقا ، اما اذا استطاع ان ينقذ افكاره فانه يكون قد انقذ كل شيء ، اذ انه يستطيع ان يعيد بناء عالم الاشياء ..**

وهذا البناء او اعادة البناء هو ذاته عمل مشترك يقوم به المجتمع ، ولكن تمام هذا العمل من المستحيل ما لم تكن هناك شبكة العلاقات التي تنظمه وتجعله سبيلا الى غاية معينة ..

اي ان ثروة الافكار وحدها ليست كافية .

ففاعلية الافكار تخضع لشبكة العلاقات

اي اننا لا نتصور عملا متجانسا من الاشخاص والافكار والاشياء دون هذه العلاقات الضرورية ، وكلما كانت شبكة العلاقات اوثق كان العمل فعالا مؤثرا .

وبذلك فان شبكة العلاقات المتمثلة في الروابط بين عناصر المجتمع الثلاثة هي الضمان الاكبر لفاعلية عمل اي من تلك العناصر ..

وهي السبيل الوحيد لدى مالك لتحقيق غاية اي مجتمع .. بل ان شبكة علاقات المجتمع هي سجل تاريخه و **اذا ما تطور مجتمع ما على اية صورة ، فان هذا التطور مسجل كما وكيفا في شبكة علاقاته ..**

وهي العامل الاكبر تأثيرا في صحة ومرض اي مجتمع .. **وعندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة ، فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة ، فذلك امارة على ان المجتمع مريض ، وانه ماض الى نهايته .**

اما اذا تفككت الشبكة نهائيا ، فذلك ايذان بهلاك المجتمع ، وحينئذ لا يبقى منه غير ذكرى مدفونه في كتب التاريخ .

وقد تحين هذه النهاية والمجتمع متخم بالاشخاص والافكار والاشياء كما كانت حال المجتمع الاسلامي في الشرق ، وفي نهاية العصر العباسي ، وفي المغرب ، في نهاية عصر الموحدين .

وتحين هذه النهاية عندما يعجز المجتمع عن القيام باي نشاط مشترك .

وتحلل شبكة العلاقات وتفككها يبدأ في الواقع من قلب العلاقات الاجتماعية .

وقد يبدو المجتمع في ظاهره ميسورا ناميا ، بينما شبكة علاقاته مريضة ، ويتجلى هذا المرض الاجتماعي في العلاقات بين الافراد ، واكبر دليل على وجوده يتمثل فيما يصيب الانا عند الفرد من تضخم ينتهي الى تحلل الجسد الاجتماعي لصالح الفردية ، عندما يختفي الشخص او خاصة عندما يسترد الفرد استقلاله وسلطته في داخل الجسد الاجتماعي .

والعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا او مستحيلا ، اذ يدور النقاش حينئذ لا لايجاد حلول للمشكلات بل للعثور على ادلة وبراهين .. حينئذ يكون حلها مستحيلا لا لفقر في الافكار او في الاشياء ، ولكن لان شبكة العلاقات لم تعد امورها تجري على طبيعتها .

وفي هذه المرحلة ايضا لا يهتم احد بالمشكلات الواقعية ، بل يكون الاهتمام منصبا على مشكلات خيالية .

عندها ينفصل المجتمع عن ذاته ووجوده ويبتعد عن مساره الطبيعي ويفقد الافراد انتمائهم للجماعة فينهار المجتمع ..

ولايزال المجتمع العربي متقهقرا في حركته بعيدا عن نهضته مادامت شبكة علاقاته مهترئة فاقدة للروابط التي تدفع المجتمع الى الامام ..

ولا يمكن ان يستقيم سعي الانسان العربي نحو الحضارة والتحضر مادام لا يدرك **الاهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية ، في تنظيم الحياة الانسانية ، من اجل وظيفتها التاريخية .**

ومادام لا يضع في اولوية اهتماماته تدعيم شبكة العلاقات تلك والدفاع عنها ضد كل ما يهدد ترابطها وتماسكها ..

وتوجيه المجتمع بأسره من خلال التربية الاجتماعية لتفعيل قيمة العلاقات الاجتماعية في نفوس الافراد ..

تربية اجتماعية بما تحمل من معنى : وسيلة فعالة لتغيير الانسان وتعليمه كيف يعيش مع اقرانه ، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الاحسن دائما ، وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع ان يؤدي نشاطه المشترك في هذا التاريخ .

وصناعة التاريخ في ممارسة المجتمع في مجال العمران يعتمد كما وضعها مالك بن نبي في شكل مطلق أو مجرد ترسم بها بشكل محدد :

الانسان : وهو هنا العمراني او المعماري ، العضو الفاعل في مجتمعه .

الفكرة .. القدرة على الرؤية والابداع من خلال ثقافة المجتمع .

المادة .. وهي المنتج الابداعي للانسان الفرد والمجتمع ككل في عمران مدينته أو قريته أو في عمارة مسكنه أو تنسيق نسيجه وكيانه العمراني وفراغاته التي يحيا من خلالها ويتحرك فيها ويعيش داخلها او معها ..

وكما حدد مالك بن نبي لا يمكن أن تكتمل تلك البنيوية النهضوية أو التنموية في العمران كما في غيره الا اذا استقامت المنظومة الضابطة لهذا الحراك بين العمرانيين أنفسهم وبينهم كأفراد في المجتمع له شبكة علاقات فاعلة وإيجابية نحو الغاية المنشودة .

ان فكر مالك بن نبي عن شبكة العلاقات واهميتها ودورها في نهضة المجتمع او سقوطه يمثل في إجماليه رؤية متكاملة موجهة ادق التوجيه لمساعدة مجتمعنا العربي على النهوض ..حيث استطاع من خلال ثقافته الواسعة ان يجمع في تلك الرؤية بين استقراء واعي لتاريخ الحضارات وتحليل نقدي للنظريات الفلسفية والاجتماعية التي تناولت موضوع الحضارة .. فضلا عن ان هذا الجمع تم في اطار عام يحتوى النظرية العامة لتحضر ونهضة المجتمعات وفي الوقت نفسه تناول بخصوصية شديدة حالة المجتمع العربي والدول النامية في كافة مناحي الحياة وفي مقدمتها العمران ..

وتأتي حاجتنا لقراءة فكر مالك بن نبي عن شبكة العلاقات وغيرها من الافكار التي تدرس وتحلل احوال المجتمع العربي في فترة هامة من حاضرنا ..

وخاصة ونحن نشهد في تلك الايام مظاهر تحلل شبكة علاقاتنا الاجتماعية مشاهدة واضحة لكل ذي بصيرة ، فالتفكك والتمزق بين طبقات وعناصر المجتمع اصبح صفة من صفاته ونتائج هذا التفكك نعاينها في كافة اوجه حياتنا ونشهد مظاهر التفتت والوهن السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني ، انها حاجاتنا المتجددة لاعادة قراءة الماضي منعا لتكرار اخطائه ، والاستعانة بمن سبقونا في تلك القراءة للارتكاز على ما قدموه لهذا الوطن من مجهودات لن تؤدي اي منها منفصلة الى ما حلموا هم به .

خاصة هؤلاء الذين وضعوا ايديهم على مواطن الضعف الحقيقية في مسيرة نهضتنا العربية وكرسوا اعمارهم من اجل تغيير الانسان العربي الذي له وبه ستنهض الامة العربية من جديد .

هي كلمتهم .. و مسئوليتنا كأفراد ومجتمع ..

للمزيد عن الميلاد الجديد للمجتمع العربي و أفكار " مالك بن نبي "
www.binnabi.net
www.malekbinnabi.net

المعماري المصري.. نبذه تاريخية

يحيى شوكت

تل العزيزية بقرية ميت رهينة بالجيزة، وفى الخلفية جبانة منف . يحيى شوكت

مقدمة

ينظر المجتمع الى " الباشمهندسين " على أنهم العباقرة الذين نقلوا مصر إلى عصر الحداثة من خلال تشييد الجسور والسدود والقنوات. و يرى المهندسون أنفسهم بالنظرة ذاتها ، فأغلبهم إلتحق بالهندسة لإحساسه بالمسئولية والفخر تجاه الوطن.

و كلمة مهندس، أصلا تعنى : من يحسب ويشق قنوات المياه، وهي مشتقة من كلمة هندس التى تعنى : أسد شجاع أو عبقرى .

و " للباشمهندسين " إبن عم لم يحظى بالشهرة والإهتمام ذاته وهو " المهندس المعمارى ". فيتخرج المعمارى من نفس الكلية الهندسية بعد خمس أعوام من الدراسة والعمل الشاق حيث تغرس فيه روح المنافسة وطموح الإنجاز. لكن يفاجئ المعمارى عند تخرجه بنقص وعى المجتمع بدوره وعدم إهتمامه به. هذا الدور المهمش رصدته دراسة لهيئة المعونة الأمريكية تشير إلى أن خلال الخمس أعوام ما بين عامى ١٩٧٧ و ١٩٨٢ غاب دور المعمارى النقابي عن ٨٠٪ من المبانى التى تم تشييدها فى هذه الفترة في مصر .

ورأي بعض المعماريين- خاصة طلبة العمارة - عن ما إذا كان عمل المعمارى قاصرا على معمار الصفوة من المجتمع أو الدولة الرسمية فقط، ومدفوع بطموحه الأنانى، حيث شبه فيليب جونسون، - معمارى أمريكى عاش في القرن العشرين- المعماريين بزائرات الليل، لأنهم يعملون ما يتقاضون الأجر عليه.

فهل كان هذا دائما دور المعمارى؟

متابع الأعمال

سمى المؤرخ المصرى القديم مانيثو، أمحتب بـ«مكتشف فن البناء بالحجر». المعروف عن إمحتب أنه كان وزير الملك زوسر وكبير الأطباء وكبير المعماريين الملكيين. وهو من قام ببناء أول هرم وأول مبنى ضخم يبنى بالحجر وهو هرم زوسر بسقارة.

لكن هل كان إمحتب – في زحام مسؤلياته للوطن- متفرغ لعملية التصميم والبناء؟

فى الأغلب كان دور إمحتب فى العمارة هو التوجيه وإدارة فرق من البنايين والنحاتين والقياسين الذين يتولون بأنفسهم زمام الأمور اليومية، مثله مثل وزير الإسكان أو أحد المديرين التنفيذيين اليوم.

والهيكل المركزى للدولة المصرية حتم بناء معمارها الملكى على نسق موحد يعكس سياساتها وهيبتها، ما لم يلبيه المعمارى التقليدى الذى عمل طول عمره ضمن منظومة مجتمعه المحلى. لذا ظهرت حاجة الدولة الى «متابع للأعمال الملكية».

تمثال حجرى للمعمارى حم أيونو بتحف بلزاوس بألمانيا (يمين)، تمثال برونز للمعمارى إم حتب من الفترة المتأخرة، بتحف اللوفر بفرنسا (يسار)

وهذا لم يلغى مهنة المعمارى التقليدى « معماري المجتمع «، حيث ظل يبنى المساكن مع مجتمعه بنسق قريب من نسق النوبيون حتى عدة عقود ماضية . حيث يقوم البنائون ورجال العائلة بالبناء، والنساء يصنعون الطوب اللبن والأطفال يقومون بدهان وتزيين الواجهات.

المداب، غرب مدينة أسوان ، يحيى شوكت

ولكن حين شيد معمارى المجتمع العمارة الملكية، شيدها تحت إشراف متابع الأعمال الملكية «كإمحتمب» أو «حم أيونو» أو سنن موت». هذه العلاقة حتمت على معمارى المجتمع أن يبنى عمارة على أسس تصميمية تعكس أهمية دينية أو سياسية.و هناك الكثير من الدلائل التاريخية بهضبة أهرامات الجيزة التى تشير إلى إحترام علمه التقنى حيث تطورت طريقة البناء خلال مراحل المشروع الضخم، وأنه هو وحرفييه وعائلاتهم كان مسموح لهم بالمعيشة داخل أرض الوقف الملكى للمشروع حيث كان الإهتمام بتغذيتهم وعلاجهم على مستوى أعلى من ما يكونوا عليه فى أمورهم الطبيعية بقراهم.

فالإعتماد على مستوى واحد من المعمارى سمح بتشييد عمارة ذات قيمة فراغية عالية بغض النظر عن مالكها لأن الفكر هو فقط الذى كان يتغير ليعكس كونها عمارة مجتمع أم عمارة دولة.

المعلم البنا

ظل النسق المصرى القديم لمعمارى المجتمع قائما عبر العصور الإسلامية، ولكن أضفى المؤرخون بعض التفاصيل الجديدة والتخصصات على المهنة.

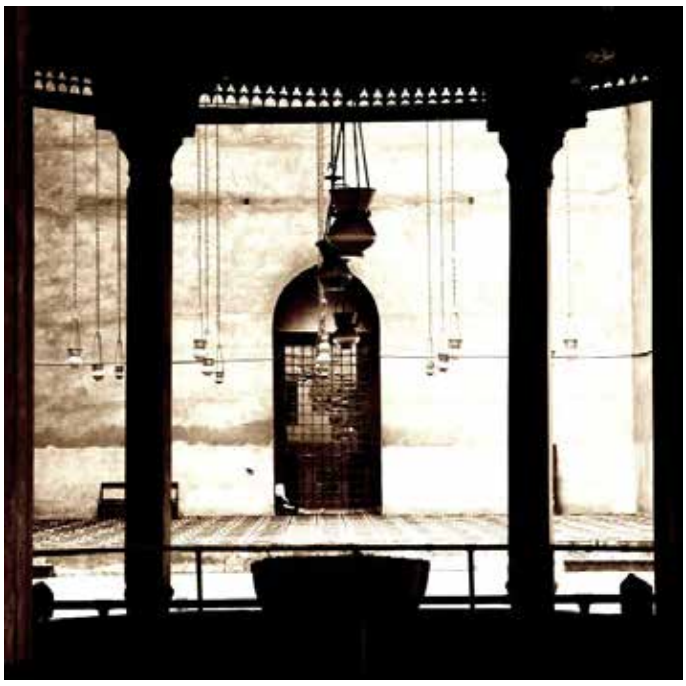

مدرسة السلطان حسن ، يحيى شوكت

فنرى كيف بدأ المعمارى كحرفى يعمل على أحد الحرف المتعلقة بالتشييد، ثم ترقى فيها حتى أصبح معلمها. فهناك المعلم البنا أستاذ محمد غادير، ومعلم نجار نياروك، وقوام الدين شيرازى الطيان. و أشهر المعماريين المصريين آن ذاك كان محمد إبن بيليك المحسنى الذى «شاد عمارة» مدرسة السلطان حسن فى القرن الرابع عشر.

رسم من كشمير يرجع إلى عام ١٨٥٠ يوضح حرف التشييد

يمكن أن نتخيل كيف شيد مجموعة من الحرفيين المنازل البسيطة لأسر مجتمعاتهم، وكيف تحت قيادة المعلم البنا- الذى يتم إنتخابه- شيدت مجاميع أكبر من نفس البنايين والنجاريين والجصاصين القصور والجوامع والوكالات لأسر الأغنياء والأفاضل.

هذا النسق إستمر لعدة قرون حتى تحولت مصر إلى ولاية بالإمبراطورية العثمانية فى عام ١٥١٧، حيث حتم النسق المركزى للدولة العثمانية ظهور معمارى الدولة مرة أخرى، لكن المعمارى هذه المرة إرتكز بالعاصمة إسطانبول.

بدأ المعمارى سنان أغا كأحد الجنود العسكريين بالجيش العثمانى حيث درس الهندسة الحربية وشيد العديد من الجسور والطرق خلال هجمات الجيش الإستعمارية العديدة. عندما كان فى الأربعين من عمره، أمر السلطان بتعيين سنان «معمارباشى» أو كبير معماريين الإمبراطورية العثمانية. وبهذا أصبح مسئول عن جميع أبنية الدولة المدنية من قصور وجوامع وقنوات مياه، على غرار متابع الأعمال الملكية بالدولة المصرية القديمة.

سنان لم يصمم أو ينفذ مبانى الدولة العثمانية بنفسه ما عدا بعض المساجد والقصور المهمة بالعاصمة، لكن تم طلاء جميع مبانى الإمبراطورية بفكرها ومظهرها من خلال «مؤسسة معماريين الإمبراطورية». فبالرغم أن سنان لم يقوم بزيارة مصر، فمسجد سنان ببولاق - نسبة على إسم والى مصر حينها وليس المعمارى- ومسجد سليمان بالقلعة يسيطر عليهم الطابع العثمانى، غالبا عن طريق إرسال أحد مندوب من «معماريين الإمراطورية» للإشراف على معمارى محلى أثناء تنفيذ الأعمال.

جزء مكبر من لوحة «جنازة السلطان سليمان» ١٥٨٠، للنقاش عثمان، توضح شخص يمسك بمسطرة يعتقد أنه سنان

سيطرة الدولة على العمارة فى مصر لم تنتقل إلى العمران، تاركة المعلم البنا ومجتمعه ليفعلون ما يشاءوه.

المهندس المدنى

أدى تأسيس كلية صغيرة فى فرنسا عام ١٧٤٧ إلى تغيير جذرى فى مهنة المعمارى عالميا. فالمدرسة القومية للجسور والطرق كانت من قام بتدريس الهندسة المدنية. فحتى ذلك التاريخ كانت الهندسة تدرس فى الكليات الحربية فقط لأن التكنولوجيا المتقدمة كانت حكرا للآلة الحربية.

ولكن مع بداية الثورة الصناعية، باتت الطرق التقليدية للبناء غير ملائمة للوضع الجديد، فلم يكن المعماريون التقليديون على الإستعداد للتعامل مع تكنولوجيا الصلب والميكنة الجديدة، فأصبح مهندس الميكانيكا الذى صمم الميكنة الجديدة هو من يصمم المبانى الحديدية التى تأواها.

ودخلت الثورة الصناعية مصر فى عهد محمد على عندما إستورد مكوناتها جميعا من الميكنة والمهندسين ورجال الصناعة. فلم تنافس الثورة الصناعية الكثير من التقاليد المصرية لأن لم يشارك فيها الكثير من المصريين. فتم تأسيس المهندس خانة بالقلعة ككلية للهندسة الحربية فقط، وكان كبيرى الأشغال العامة فرنسيين مثل باسكال كوست ولينان باشا، يديرون جيوش من المهندسين، أغلبهم أجانب، لتنفيذ منشآت خاصة بالدولة والجيش، مثل السكة الحديد لنقل البضاعة وترعة المحمودية التى ربطت أسطول السفن بالإسكندرية بالقصر الملكى بالقاهرة.

لينان باشا، كبير مهندسى ووزير الأشغال العامة ما بين ١٨٣١ حتى ١٨٦٩

على أواخر القرن التاسع عشر، ترسخ نظام الدولة المركزية البيروقراطية المحتكرة لجميع الأراضى والموارد، التى باتت فى أيدى المستعمر البريطانى ونخبة حاكمة، الوضع الذى دفع المعمارى التقليدى ليعمل لحساب مهندسين الدولة الأجانب والمصريين أو أن يبحث عن رزقه كبنى لبيوت الفلاحين.

مسكن بريف سوهاج يرجع للقرن التاسع عشر، يحيى شوكت

المعمارى

أتت رياح التغيير على مصر فى بدايات القرن العشرين مع تأسيس عدة أقسام للعمارة بكليات الهندسة والفنون الجميلة. فبدأت حقبة المهنية والرسمية، التى داست على الحرفية وخلقت ما هو لا رسمى. وإزداد أعداد المصريين المقبلين على شهادات التعليم العالى على حساب تعلم الحرفة كما بات حال العالم.

من هذه اللحظة ترسخ الفيلق الفاصل ما بين المعمارى النقابى والمعمارى المجتمعى. فأصبح المعمارى النقابى يستخرج تراخيص البناء التى تطلبتها الدولة والرسومات الهندسية الذى إستعان بها المقاول للأعمال التى كانت بداخل الحيز الرسمى مثل المبانى الحكومية والمصانع وفيلات الصفوة. وصف المعمارى النقابى أعمال المعمارى المجتمعى بالعمارة التقليدية، أى الرجعية، ووصف أعماله فقط بالعمارة، بادئا صراع مجتمعى بين نسق الحياة المصرى والنسق الغربى الذى جسده الكاتب والسينارست فتحى غانم فى فيلم «الجبل»

الذى يحكى قصة صراع معمارى نقابى (عمر الحريرى) يحاول إقناع مجتمع يسكن الجبل ليسكن البنايات المصممة معماريا والتى تمولها الدولة لأن هذا أفضل لهم.

وكانت من الوقائع النادرة عندما يهتم أحد المعماريين النقابيين بالمعمار المجتمعى، مثل إهتمام المعمارى رمسيس ويصا واصف به وبالحرف القبطية مثل النجارة والزجاج المعشق. فأدخل رمسيس هذه الحرف فى عمارته والتى تألقت بعد بنائه مجتمع من الفنانين والحرفيين بقرية الحرانية على أطراف القاهرة.

مع إستمرار تهميش الدولة للمجتمع، ظل المعمارى المجتمعى يشيد كم لا بأس به من بيوت الفلاحين والعمال وأبراج حمامهم وورشهم، على نسق جديد يمزج بين التقاليد والأنساق الجديدة.

تحول دور الدولة نحو الإشتراكية المركزية مع ثورة ١٩٥٢ وتم تأسيس **الشركة القومية للتشييد والتعمير** كأحد رواكز قطاع الدولة العام الذى تحكم فى التصميم والتنفيذ. فتم تشكيل **المكتب العربى للتصميمات والإستشارات الهندسية**

فهمى بك وسمو الأميرة وفى الخلفية حسين.. المعمارى والدولة والمجتمع. مشهد من فيلم «الجبل» للمخرج شوقى خليل ١٩٦٥

رمسيس ويصا واصف . المعمارى والخزاف والنوال والمدرس، ورنر فورمان من كتاب «نسج يدوى» ١٩٧٢

كالجهة الوحيدة المعنية بتصميم المبانى العامة للدولة. فلم تكتفى الدولة بالمبانى الحكومية حيث تم تأسيس عدة شركات للإسكان التى أصبحت أول منافس للمعمارى المجتمعى حيث قامت ببناء وحدات سكنية لمحدودى الدخل فى جميع أنحاء البلاد مما قلص دوره حتى بات عدد كبير منهم من كادر العمال يعمل لحساب شركات المقاولات بدلا من أسر مجتمعه. فباتت الدولة محتكر الرأى والفكر.

مع تسارع ظاهرة التمدن وهجرة المواطنين من الريف على المدينة، كادت أن تندثر مهنة المعمارى المجتمعى فى مواجهة زحف رسمية الدولة. لكن ما كان ليكن، فبعد حالة حرب شبه دائمة مع الكيان الصهيونى تلتها سياسة الإنفتاح، تراجعت الدولة عن دورها الإجتماعى لتتبنى الرأسمالية مما أسفر عنه إنخفاض حاد فى الوحدات السكنية المدعمة وفتح الساحة مرة أخرى للمعمارى المجتمعى.

فبدأ نسقان عمرانيان جديدان في الظهور.

مجتمع الدويقة، القاهرة، يحيى شوكت

الأول عبارة عن مجتمعات عمرانية تم بنائها بالمجهودات الذاتية على حدود العمران القائم وخارج رسمية الدولة. ومع عدم وجود سكن بسعر مناسب، عادت جموع من المجتمع إلى معماريهم ليبنى لهم مساكنهم وأطلقت عليه الدولة مصطلح العشوائى.

النسق الثانى عبارة عن مجتمعات عمرانية جديدة تم بنائها فى أراضى صحراوية غير ملتصقة بالعمران القائم. فكان فكر الدولة لبرنامج «المدن الجديدة» الذى نفذته وزارة الإسكان والتعمير هو أن عدة مدن منخفضة الكثافة وبها مساحات مفتوحة ومراكز تجارية ومصممة للسيارات الخاصة ستقوم بحل مشاكل ازدحام مدن مصر بالسكان وسحب الزيادة السكانية من المدن الرئيسة.

المستقبل

بعد مرور أكثر من ثلاثون عام، لم تصل العشرون مدينة جديدة التى خططتها ونفذتها الدولة سوى لنسبة اشغال ٤٠٪ فى المتوسط، فى حين أصبح نحو ٦٠٪ من سكان القاهرة يسكنون فى مجتمعات مبنية ذاتيا. أما فى الريف، فالمجتمعات جميعها مبنية ذاتيا.

رغم هذه الحقائق، يعمل المعمارى النقابى وكبير معمارى الدولة، وزارة الإسكان والمرافق والتنمية العمرانية، كما هم دون أدنى تطوير لفكرهم وآلية عملهم متجاهلين الواقع الذى يحيطهم.

هناك بعض المعماريين والجهات المانحة التى تحاول تحسين كم ضئيل من الأحياء والقرى، فى حين أن طلبة العمارة بالجامعات يبدعون فى إيجاد حلول للقضايا العمرانية إن أتتهم الفرصة من خلال أساتذة مهتمة بالقضية. لكن جميع هذه المجهودات هى الإستثناء للقاعدة، حيث باتت القاعدة هى التى تخدم الإستثناء.

مع هذا فهناك بوادر للتفاؤل.

هزتنا ثورة يناير بندائها للعدالة الإجتماعية وسلطت الضوء على احوال عمراننا الغير عادلة حتى بات الضغط للإصلاح آت من القاعدة الشعبية ومن القوى السياسية من أعلى.

فإذا كان من يقومون ببناء الدولة الجديدة مهتمين بتأمين موقعهم الحاكم من الملايين الثائرين، فهم بلا مفر من معالجة السياسات الغير عادلة. هذا ما يحتم على صانعى السياسات وكبيرى المعماريين تغيير آلياتهم جذريا لتبنى على مشاركة المجتمعات نفسها التى هم مفوضون لخدمتهم، مما يعنى إدخال أنظمة المشاركة من خلال المجالس المحلية ودفع المعمارى النقابى للتفاعل مع المعمارى المجتمعى الذى عاش موازيا له عبر قرن من الزمن.

هناك سبب آخر للتفاؤل. فالفترة الأخيرة شهدت حركة طلابية اشتعل فتيلها بعد مجزرة بورسعيد التى راح ضحيتها العشرات من طلبة الجامعات مما ترك أثر شخصى في زملائهم من الطلبة. فهناك فرصة قوية أن تتحول هذه الحركة عند طلبة العمارة إلى مطلب لترسيخ دور أكثر إجتماعى وملائم لطموحاتهم يعكس إحساسهم بالمسؤلية تجاه مبادئ العدالة الإجتماعية.

فى هذا الحال سيكون أساتذتهم من الأذكياء إذا تجاوبوا مع مطالب الطلبة في إعادة تشكيل مهنتهم المختارة لأن هناك فرصة لإعادة دور المؤسسة الجامعية كأحد دعائم المجتمع، مبنية على أكتافه وتعمل من أجله.

ليس من المستحيل أن يصبح هذا القرن هو الحقبة التى يذوب فيها الحاجز الصناعى الفاصل بين ما هو رسمى وما هو غير رسمى، بين الدولة والمجتمع التى تمثله، بين العمارة والأجيال الذين يعيشون بها.

مظاهرات كلية هندسة، جامعة القاهرة، فبراير، ٢٠١٢،
عبد الرحمن الشامى

التفكير الابداعي

محمد علاء

لقطة من فيلم ***The Wall***

لماذا تتقدم بعض المجتمعات و تتأخر مجتمعات أخري ؟ وما هى آليات إرتقاء مجتمع من حالة التأخر الى التقدم ؟

الفكر هو المحور الرئيسى لتقدم المجتمعات أو تأخرها , فعندما يرتقى التفكير ويتسم بالعقلانية و الإبداع , تتقدم المجتمعات و تضمن الإستمرارية الزمنية لأفكارها. و عندما يتخلى عن العقلانية أو يتراجع الإبداع , تنحصر المجتمعات فى أعماق ظلمة التأخر وتنسى ثم تفنى. والمجتمع والإنسان دائما فى حالة تفاعل و تواصل مستمر, حيث يؤثر كل منهم على الأخر بالإيجاب أو بالسلب , والقدرة على التعبير وتواصل الأفكار فى ما بينهم تسمى التفكير الإبداعى.

فالتفكير الإبداعى هو أهم أداة للتواصل بين أفراد المجتمع لتشكيل منظومة فكرية فريدة تسمى ثقافة المجتمع و فى الوقت نفسه هو أساس إرتقاء المجتمعات.

وتكمن مقومات إزدهار التفكير الإبداعى , فى مدى خصوبة أفكار المبدعين فى شتي المجالات. فهم يشكلون إنعكاس دائم لقدارت المجتمع الفكرية, وفى مجتمع متحضر عقلانى , يتمكن المبدعين من معالجة إشكاليات مجتمعهم. من خلال المنظومة الفكرية التى تعطى حلول علاجية , تلك الإشكاليات هى التحدى الذى يواجهه الفرد فتمنحه الفرصة للإبداع من خلال المنظومة الإبداعية وتؤكد مدى فاعلية الفرد فى المجتمع.

و فى مجتمعنا , هل تمنح المنظومة الفرد فرصة الإبداع ؟

تعتمد الإجابة على فهم البيئة التى ينشأ بها الفرد , وتأتى المنظومة التعليمية فى أولويات تأثيرات المجتمع المباشرة على إبداعية الفرد, تشمل تلك المنظومة جميع مصادر المعرفة سواء كانت فى إطار مدرسى أو خارجه و فى جميع المراحل العمرية . ولكن إذا كانت الفكرة هى فى تعليم الأفراد فالمنظومة التعليمية قائمة وفعالة الى حد ما .

ولكن يبقى السؤال عن ماذا يجعل تلك المنظومة التعليمية ذات تأثير إيجابى أو سلبى على الأفراد ؟

والإجابة فى نوعية المنظومة التعليمية, فالمنظومة المتأخرة تعمل داخل إطار جامد يعتمد بشكل أساسى على عدم الحث على الإبحار فى المعرفة , و لا تتحمل الإنحراف عن مسارها الثابت لخدمة العقول المتعطشة .

فالكارثة الحقيقية تظهر عند محاولة الإنحراف عن المنهج .

ولكن ما هو المنهج !

هو مجرد محاولة لتحجيم العقول فى إطار محدد لا يحتمل الإنخراط بعيدا عنه . هو محاولة غير مباشرة لتجاهل أعماق العلوم اللانهائية والتركيز على ما هو داخل الإطار فقط. وتلك المنظومة التى تعتمد على الكم المحدد ثم الإختبار تفتقر الى التفكير الحياتى العملى وتؤدى الى فقدان الرغبة فى معرفة المزيد , و تقتل فضولية و تلقائية العقول الصغيرة , و تحجر التفكير الإبداعى و تؤدى فى المستقبل الى ضغوط إجتماعية لعدم ثقة الفرد بنفسه وتشويه للمستوى الثقافى للمجتمع .

ليس هذا فحسب فالتدريس فى مجتمعنا يقسم مجالات الدراسة الى عملية و نظرية ويفصل بينهم وذلك يمثل عائق فى تشكيل وتنمية المهارات الإبداعية , لإن فى ذلك فصل الفرد عن الواقع .

فالحياة الواقعية هى تطبيقات عملية لإفكار نظرية مختلفة . ويظهر نتيجة هذا فى فقر المهارات العملية لدى الأفراد . يتطلب الإرتقاء بهذة المهارات التعليم ذو البعد العملى الذى يغلب عليه طابع التحقق والتجربة وممارسة نظرية التجربة و الخطأ . مما ينتج توافق ما بين العقل والجسد . وعلو من شأن الفرد مهاريا .

وعموما التركيبة البشرية بطبيعتها تكتسب الثقة والسعادة عند إنجاز شئ عملى واقعى , وعند إضافة وإبتكار عمل جديد فى محيط المجتمع .

فضلا عن إعتماد المنظومة الحالية على التلقين شفهيا , وحسب دراسة علمية أجريت أن نسبة المعلومات التى يتذكرها الإنسان سمعيا هى 10% فقط وعند القراءة ترتفع نسبة إسترجاع المعلومة ذهنيا الى 20% , ولكن فيما يشاهده الفرد او يقرأة ويقوم به عمليا ترتفع نسبة الإسترجاع الزهنى الى 80%. مما يوكد مدى أهمية إرتباط الناحية النظرية والعملية معا. ويفسر بالتأكيد فقدان المعلومات المكتسبة أثناء الدراسة على مدار سنة كاملة بمجرد خروج الطالب من الإختبار .

فالأنسان مخلوق يعتمد على القدرات البصرية بفطرته أكثر من السمعية , حيث يولد دون لغة فيكتسبها لاحقا و لكن العقل البشرى يقوم منذ الأيام الأولى على التحليل المرئى للأشياء. وقدرة الإنسان فى تحليل المعلومة المرئية اكثر سرعة 60000 مرة عن قراءة المعلومة. التفاعل البصرى هو ما يولد الطاقة الأبداعية عند الشخص.

مما يؤكد أهمية الدراسة المعتمده على التفاعل البصرى وتنمية و تطوير إسلوب دراسة الفنون فى المنظومة التعليمية , وما يحدث الأن هو إختزال الفنون فى شكل حصة رسم يكون منهجها الأساسى هو سكب مجموعة من الألوان لمحاكاة المناسبة القومية , وتلك كارثة فكرية تؤثر سلبا على حرية الفكر الإبداعى للفرد . وتتجاهل مجالات الفنون المتعددة والقدرات التعبيرية الأخرى , وتصبح بذلك عامل رئيسى فى فقدان القدرة التخيلية عند الفرد وإنعدام تذوق الفن ونقص التفكير الإبداعى .

المبدعون فى مجتمعنا ضحية ذلك النظام التعليمى . و ذلك منعكس على جميع مجالات الحياة فى مجتمعنا . وفى مقدمتها العمارة والعمران .

وعمران مجتمعنا هو نتاج تفاعل طرفين فمن ناحية نجد المعمارى مفتقر الى التفكير الإبداعى نتيجة للمنظومة التعليمية التى تشكلت بداخلها أفكارة وفي الوقت نفسه نجد عدم قبول المجتمع للأفكار الإبداعية بسبب التأثر بنفس المنظومة . فنجد فى التعليم المعمارى إنفصال واضح عن الواقع المجتمعى مما يدخل المعمارى فى حالة صدمة فكرية عند طرح بعض من ألأفكار بعد خروجه للحياة العملية .

الفكر الإبداعى يجعل لكل فكرة تطرح ثقل , فكل فكرة إبداعية تطرح ينتج عنها تفاعلات وإسهامات موازية من قبل المجتمع. وبدون الفكرة تتشت المجتمعات وبدون التفكير الإبداعى لا تنجح المجتمعات .

الفكرة تتحول الى عمل إبداعى فتبقى وتخلد , وذلك هو محرك المبدع , المحرك الذى يجب تنميته من خلال المنظومة التعليمية من بدايتها . وإستثماره بتوظيف تلك الأفكار فى شكل مشاريع عمليه , حيث يستفيد و يستفيض المبدع داخل المنظومة التى تحقق إشباع الرغبة المعرفية بداخله . بدون فرض شئ فى عملية تفاعلية بين الفرد و المنظومة , داخل مساحة حرة لإبداء الأفكار .

أفكار ربما تتحقق فى أرض الواقع على فرضية وجود نظام ديمقراطى , فتحدث الفكرة الإبداعية التغير. وينعكس ذلك فى إرتقاء المجتمع .

الثورة والعمران

عمرو أبو طويلة

المجتمع يتولى الإبداع و التصميم

الفراغات العمرانية هى فراغات ديناميكية يتم تشكيلها و تحديد وظائفها عن طريق حوار مستمر يتبادل فيه المجتمع و المعمارى الأدوار. و فى إحدى مراحل هذا الحوار قد تنتهى علاقة المعمارى الفرد بالفراغ بشكل جزئى و يبدأ دور المعمارى المجتمعى ليضع بصمته على المكان بطريقة تلقائية ليدب فى شرايين الفراغ الروح و الحياة. و هنا يعود دور المعمارى الفرد كمحلل جيد لتصرفات المجتمع من حوله مما يعطيه الفرصة فى ترجمتها لحلول معمارية وعمرانية تتماشى مع تلك التصرفات التى تصنعها الثقافة الجمعية للمجتمع ككل. و يستمر ذلك الحوار و تبادل الأدوار بين المعمارى الفرد و المعمارى المجتمعى وأحيانا يبرز دور المجتمع و يزداد إبداعه فى تطويع كل ما هو أمامه من فراغات عندما تزداد حدة الموقف و أهميته, فنجده يتعامل مع نفس الفراغ بأشكال مختلفة تماما مع تغيير الحدث.

و قد كان ميدان التحرير وما حوله منذ بدأت ثورة يناير وحتى الآن مثال حى وواقعى لممارسة المجتمع لدور المعمارى الجماعى عن طريق ملحمة فى إعادة تشكيل و توظيف بل تغيير مورفولوجية الفراغات بشكل تلقائى و سلس حسب إحتياجه لها, فيتحرك الثوار داخله بتلقائية شديدة مع ما حولهم ويتفاعلون بشكل قوى مع ذلك الحدث الكبير الذى يصنعونه و يتمثل هذا التفاعل فى الإحتياج لتغيير شكل ووظيفة الفراغ بشكل كلى أو جزئى حسب قوة الموقف و قد يصل الأمر إلى تغيير ملامح الفراغات و الأماكن بشكل تام فى الأحداث الكبيرة و العنيفة مما قد يصل فى لحظات معينة فى إعطاء إحساس غريب بالتيه أو فقدان البوصلة مما يدفع معظمنا إلى الوقوف لوهلة حتى يستوعب أين يقف وكيف يتحرك .

و لم يقتصر التغيير على تطويع الفراغات فقط و لكنه امتد إلى المبانى المحيطة بالميدان فقد كان منها من تفاعل بشكل إيجابى كجامع عمر مكرم و الذى استضاف الثوار للمبيت و خصص جزء كبير منه كمستشفى ميدانى و أيضا كنيسة قصر الدوبارة التى تحول جزء كبير منها أيضا لمستشفى ميدانى, و امتد التفاعل الإيجابى إلى العمارات المحيطة و التى تحولت شقق كثيرة منها إلى مراكز إعلامية تنقل ما يحدث للعالم كله فيما تحولت المبانى نفسها فى بعض الأحيان لمعرض للوحات لأهداف الثورة و شعاراتها الحماسية فيما تحولت مداخلها و الفراغات الضيقة التى تحيط بها إلى أماكن يحتمى بها الثوار أثناء هجوم قوات الأمن عليهم كما تحولت جميع المبانى والحوائط حول ميدان التحرير إلى معرض ثورى دائم لفن الشارع "الجرافيتى" . و كان من المبانى الأخرى التى تفاعلت بشكل سلبى كالمتحف المصرى الذى حولته الشرطة العسكرية إلى مكان لتعذيب الثوار أثناء فض اعتصامات ما بعد الرحيل و أيضا مبنى الجامعة الأمريكية الذى تمركز عليه العديد من القناصة و أراقوا الكثير من الدماء. و منذ اللحظة الأولى والميدان فى حالة رد فعل ديناميكية تلقائية و فجائية فتتباين تفاعلاته بين اللحظة و الأخرى لتعزف لحن طويل تعلوا نوتاته و تنخفض حسب الأحداث المتوالية على الميدان.

تصوير : جيجي ابراهيم

و نحاول فى هذا المقال استقراء قدرة ودور المعمارى المجتمعى أو دور المجتمع فى التغيير و إعطاء الفرصة لنا كمعماريين فى التوقف و رصد و تحليل تلك التصرفات و خصوصا فى الأحداث الفاصلة كأيام الجمعة و أحداث محمد محمود ومجلس الوزراء و شارع منصور. و يعتمد التحليل على محاولة

رصد وتحليل الفراغات التى أبدعها الثوار أثناء تفاعلهم مع الفراغات كى تلبى حاجتهم و كيف يتعاملون معها بعد تكوينها و ما هو السبب الذى دفعهم إلى اللجوء أو الاحتياج لتكوين هذا الفراغ. و يعتمد أيضا على سرد التصرفات اليومية أو اللحظية التى معها يتحول شكل الميدان و طريقة استخدامه .

دقت الساعة القاسية
كان مذياع مقهى يذيع أحاديثه البالية
عن دعاة الشغب
وهم يستديرون؛
يشتعلون – على الكعكة الحجرية – حول النصب
شمعدان غضب
يتوهج فى الليل..
والصوت يكتسح العتمة الباقية
يتغنى لأعياد ميلاد مصر الجديدة!

كتب **أمل دنقل** تلك الأبيات فى جزء من الإصحاح الرابع بأغنية «الكعكة الحجرية» وهو يصف المعتصمين بميدان التحرير من طلاب الجامعة فى انتفاضة الجامعة ١٩٧٢ م ويصف كيف يتعامل المعتصمون مع الميدان وكيف قد دبوا فيه الروح بأصواتهم المُعلِنة عن ميلاد مصر الجديدة. وهذا ما تكرر بعدها بتسعة و ثلاثون عاما و لكن بشكل أوسع وأروع فى ثورة شعبية بدأت من نفس المكان. فمنذ أن بدأت الشرارة الأولى للثورة فى الخامس و العشرون من يناير ٢٠١١ بدأت معها شرارة التغيير العمرانى فى الميدان و تغيير وظيفته من فراغ عمرانى مفصلى بالمدينة إلى تشكيل عمرانى متعدد الأنشطة و الاستعمالات. ومنذ البداية وكان الإعتصام والمبيت فى الميدان هو أحد أهم وسائل الضغط الشعبية و استخدمه الثوار في البداية حتى رحل مبارك بعد ثمانى عشر يوما. و مع استمرار السلطة في التأخر فى تنفيذ أهداف الثورة فاستمر الثوار فى استخدام آلية الإعتصام بعدة آلاف داخل الميدان. وتسهيلا لظروف الإعتصام تُنصَب الخيام مختلفة الأحجام والأنواع للحماية من الظروف المناخية و تنتشر الخيام خصوصا بالكعكة الحجرية و حديقة المجمع, ومع اشتداد حرارة الصيف يعلق المتظاهرون سلسلة من الأقمشة فوق الكعكة الحجرية لحمايتهم من حرارة الشمس فى النهار وأحيانا أخرى يلجأون لتوصيل وصلات كهربائية بأقرب مصدر لهم كى يستخدمونها فى توصيل إحتياجاتهم من المرواح و شحن أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة لإتاحة الإحتياجات المبدأية للمعيشة والتواصل مع العالم الخارجى .

تصوير : ماجى اسامة

ومع استمرار الحراك الثورى وظهور حالة جديدة لوجود الناس فى الميدان يظهر احتياج مجتمعى جديد يتطلب نشاط خدمى أو عمرانى جديد يؤدى إلى إعادة تشكيل مورفولوجية الميدان وتطويرها.

فمثلا مع استمرا الاعتصام احتاج الثوار إلى مكان يعبرون فيه عن رأيهم بصوت عالى أمام الجميع فظهرت الحاجة إلى بناء المنصات تعمل كوزارة إعلام وثقافة الميدان

. وظلت تلك المنصات هى المكان الرئيسى بالميدان الذى يتجمع حوله الثوار طوال الاعتصام الأول و حتى بعد الرحيل ظلت المنصات هى الفراغ الأبرز فى أيام الجمع والمليونيات فتتنافس عليها القوى السياسية لإعلان وجهة نظرها أو إبراز قوتها أمام حشود المتظاهرين والإعلام.

وتتكون المنصة من قاعدة خشبية كبيرة أشبه بالمسرح و يتم استخدامها فى إلقاء الكلمات الحماسية من شخصيات عامة وأغانى وطنية ثورية من الفنانين المنحازين للثورة و الثوار, وأثناء الاعتصامات تتحول المنصة إلى مركز للأخبار و مكان لتقديم الأغانى للشد من عزم المعتصمين .

تصوير : جونثان رشاد

يستمر الاعتصام ويحتاج الثوار إلى تلبية أغراضهم السريعة من مأكولات ومشروبات وكعادة المصريين أثناء التجمعات الكبيرة الفجائية منها والموسمية, يظهر العديد من الباعة الجائلين لخدمة المتواجدين فى هذه التجمعات, وفى الميدان وخصوصا مع هدوء الحالة وعدم وجود اشتباكات, ينتشر الباعة الجائلون ويكوّنون العديد من الفراغات العمرانية حولهم حسب الإحتياج ونوع السلعة, فمنهم من يستخدم العربة الخشبية المتحركة و يدور فى الميدان و منهم من يتمركز على الأرصفه لعرض سلعته ومنهم من يحتل مساحة أوسع عن طريق «فَرشة» واسعة يستطيع من خلالها عرض سلعته. و فى أوقات الذروة تستطيع تمييز الدوائر المنتشرة التى يقف بها هؤلاء الباعة «لتقليب رزقهم».

تصوير : جيجي ابراهيم

ومع طول فترة الاعتصام يحتاج الثوار إلى تخزين الحاجات الأساسية للمعيشة من بطاطين و مأكولات خفيفة وأدوات طبية للإسعافات الأولية والأقنعة الواقية من الغاز و الخرطوش وهنا تظهر مشكلة احتياجهم لأماكن لتخزينها وتلقى التبرعات من المتضامنين مع الاعتصام ولذلك تم ابتداع مراكز الإعاشة وهى أماكن لتخزين تلك الأشياء. وتنقسم مراكز الإعاشة إلى نوعين منها يتم بنائه داخل الميدان و هى عبارة عن خيمة كبيرة الحجم ويتولى الإشراف عليها واحدة أو اثنين من الحركات الشبابية المعتصمة بالميدان, والنوع الآخر يتواجد فى شقق أو مكاتب قريبة من الميدان و يتبرع أصحابها بتحويل جزء منها إلى مخزن ويكونون مسئولون عن التواصل مع المتبرعين من خارج الميدان لتلقى التبرعات لتوزيعها على المتظاهرين .

تصوير : جونثان رشاد

كعادة السلطة القمعية دائما ما تتجاهل مطالب الاعتصامات وتواجهه بتدخل أمنى. فمع بداية الهجوم على أى اعتصام فيتسارع العديد من الثوار للوقوف فى خط المواجهة أمام قوات الأمن لحماية الاعتصام والمعتصمين والدفاع عن مطالبهم, وفى تلك اللحظات يسقط العديد من المصابين والجرحى من حالات الاختناق واستخدام الرصاص المطاطى والخرطوش ولذلك ينضم العديد من الأطباء إلى صفوف الثوار ويشرعون فى تكوين المستشفيات الميدانية فى أماكن قريبة من الحدث حيث تقوم بالإسعافات الأولية اللازمة للمصابين والجرحى. وتكون تلك المستشفيات هى الفراغ الأهم أثناء الإشتباكات,

فتتراوح أحجامها حسب أماكنها فمنها من يكون على خط المواجهة وهى أصغرهم حجما لإحتمالية الهجوم عليها فى أى وقت ونقلها. ومنها من يتمركز داخل الميدان و هى أكبر قليلا وأخيرا المستشفيات المركزية والتى تتخذ من دور العبادة حماية لها (مسجد عمر مكرم, كنيسة قصر الدوبارة) ودائما ما يكون بها مخزن مركزى كبير لجمع التبرعات الطبية للميدان .

تصوير: مصطفي الششتاوي

تطول فترة الإشتباكات ويزداد عدد المتظاهرين و يستمر عنف الإشتباكات فى الإزدياد فيصبح من الصعب الوصول بسيارات الإسعاف للصفوف الأمامية لنقل المصابين والجرحى من جانب الثوار وهنا ينضم العديد من ثوار المناطق الشعبية "بالموتسيكلات "و للمساعدة فى نقل زملائهم المصابين بالصفوف الأمامية فيما سمى ب"الإسعاف الشعبى" وتحتاج تلك "الموتسيكلات" إلى المرور بأقصى سرعة لنقل المصاب لأقرب سيارة إسعاف أو مستشفى ميدانى أو ساحة انتظار سيارات الإسعاف التى أصبح من الأسهل لها التجمع فى أقرب منطقة واسعة لإستقبال المصابين. وهنا ظهرت الحاجة لتكوين ممر الإسعاف الشعبى بطول الطريق من الإشتباكات وحتى المستشفيات الميدانية أو أقرب مركز تجمع لسيارات الإسعاف و يتم خلق هذا الممر بصفين من البشر يتكاتفون يدا بيد لفتح الطريق لسرعة نقل المصابين وأصبح ذلك الممر من أهم الفراغات التى يشرف على تكوينها العديد من الثوار لتسهيل وصول زملائهم لتلقى الإسعافات الأولية والعودة للصفوف الأمامية مرة أخرى فى أسرع وقت.

تصوير: مصطفي الششتاوي

وتتحرك هذه الفراغات متجاوبة مع الديناميكية الشديدة التى تولدها الحالة الثورية للميدان. ولكن بعد ظهور بعض المشاكل الأمنية وخصوصا ما عرف إعلاميا بـ"معركة الجمل" والتى هجم فيها "بلطجية" نظام مبارك على الميدان أمام أعين الجيش المصرى, فأدرك الثوار أنهم يجب أن يحموا الميدان بأنفسهم فلجأوا إلى تكوين ما يشبه وزارة للأمن متمثلة فى الجان الشعبية التى تطوق الميدان لتأمين المداخل والمخارج من أى هجوم وتتكون من كردونات من الحواجز أو صفوف متتالية من البشر للتفتيش والتأكد من هوية كل من يدخل الميدان, ولصد أى هجوم على الميدان إن لزم الأمر. وتتولى تلك اللجان أحيانا تنظيم المرور حول الميدان لإتاحة الفرصة للسيارات للمرور فى غياب شرطة المرور .

تصوير: جيجي ابراهيم

ولم يقتصر التغيير على تكوين فراغات جديدة بالميدان ولكن أحينا يحتاج الثوار إلى تغيير جزئى أو كلى فى قلب الميدان نفسه وهذا التغيير يكون بشكل متكرر حسب طبيعته والحاجة له. ويتمثل هذا فى المسيرات والصلاة ودائر الغناء والحوار والجنازات. فمثلا من كثرة أعداد المتظاهرين يلجأون لأداء الصلاة فى الميدان وحينها يختلف شكل الميدان جزئيا فى الصلوات اليومية وكليا فى صلاة الجمعة ففى الصلوات اليومية الخمس يكف الميدان عن الضجيج والهتافات وتصمت المنصات و يُرفَع الأذان ثم يبدأ الثوار فى افتراش الأرض بأى شيئ متاح حتى يستطيعون إقامة شعائر الصلاة ويصطفون جنبا إلى جنب فى إتجاه القبلة ويتكون حولهم كردون بشرى حتى يمنع المارة من الدخول وإزعاجهم. أما فى صلوات الجمعة فيتغير شكل الميدان كليا فيجلس الثوار على الأرض وتصمت جميع المنصات عدا المنصة التى يُلقَى من خلالها الخطبة ثم يتحول بعدها الميدان بأثره إلى ساحة صلاة واسعة تسع مئات الآلاف من الثوار فى حللة روحانية رائعة وأحيانا أخرى يحين موعد الصلاة فى أوقات الإشتباك فيصطف المصلون فى الصفوف الامامية للصلاة أمام جحافل الأمن فى وسط الغازات والرصاص المطاطى فى مشهد يشد من أذر من هم فى المواجهة.

تصوير : جونثان رشاد

و أثناء الأحداث المهمة تصبح الصورة شديدة الضبابية, تختلف و تتباين آراء الثوار بينهم و بين بعض فيبدأون فى الحوار و التشاور فى الأمور و لذلك يحتاجون إلى خلق دوائر للحوار للنقاش في أمور البلد و الثورة و الأحدث و أحيانا أخرى يبدأون بالهتافات الملحنة أو الأغانى الثورية التى ترفع من روحهم المعنوية كنوع من العزيمة الثورية يلتف الثوار فى دوائر يغنون و يهتفون أو يتحدثون فيما يرونه مهما لهم. و أحيانا أخرى يلتفون حول أحد الشخصيات العامة المنضمة للميدان و يقابلونه سواء بالترحاب أو الرفض و أحيانا تصل إلى طرده من الميدان. و خلال الاشتباكات يحتاج الثوار إلى مناقشة الوضع الراهن فتكون دوائرهم أكبر وأكثر عنفا.

تصوير : مصطفي الششتاوي

مع الوقت اعتاد الثوار عدم المجئ إلى الميدان بشكل مباشر والتصميم على الخروج من مناطقهم فتجد المسيرات قادمة من المساجد الكبيرة والمناطق الشعبية مساندةً للميدان. ولحظة التحام المسيرات بالميدان تعتبر من اللحظات البديعة فتجد المتظاهرون داخل الميدان يصتفون على الأرصفة ليفسحوا الطريق للمسيرة القادمة يكى تدخل وتَسبَح معهم فى نفس الفلك تطوف بداخله ككتلة متحركة حول الكعكة الحجرية. وأحيانا تتحول هذه المسيرات إلى جنازة لتشييع شهيد أو أكثر والتى ربما تكون تنفيذا لوصيته بأن يكون الميدان هو آخر مكان يمر به نعشه .

تصوير : جونثان رشاد

و أخيرا كل هذه الفراغات تتكون بالميدان وما حوله لتعطى نموذجا من خلال قيم كل فراغ, فكل منهم يحتوى على قيمة العدالة والحرية والمساواة وكأن كل منهم يهتف بنفس الهتافات التى يرددها الثوار. وبشكل عام أصبح ميدان التحرير وما حوله من فراغات أشبه بكيان مصغر للدولة التى يحلم بها الثوار الكل يساعد بعضه لا ينام شخص وهو جائع. وأنشأوا به كل مؤسساتهم التى يحتاجون إليها فأنشأوا وزارات للأمن و والصحة و والإعلام والثقافة والإسكان وأخرى للتموين والخدمات حتى مؤسساته الدينية و مراسم تشييع الجنازات والأفراح. و تمسك الثوار بهذه الدولة وصنعوها عندما افتقدوا قيمها فى الدولة الظالمة التى كانوا يعيشوا بها فبنوها بدمائهم و عزيمتهم حتى تصبح النموذج الذى يحاولون ترسيخ مبادئه على الكيان العام للدولة وسيظلون يحاولون حتى يروا حلمهم يتحقق فى دولة العدالة والحرية والمساواة .

و هنا يأتى دورنا كمعماريين فى الوقوف لرصد وتحليل تلك الفراغات واستيعاب المعانى النبيلة التى غرزها الثوار فى أنحاء الميدان حتى نستطيع أن نكون جزء من تنفيذ هذا النموذج بشكل أكبر على مستوى دولة العدالة التى يحلم الثوار ببنائها على أنقاض دولة الظلم والتى من واجبنا أن نبنيها معهم متضمنة نفس قيم العدالة والحرية والمساواة التى خطها المجتمع لنا بيده فى نموذج دولته الصغيرة «ميدان التحرير» .

تصوير ...
ماجى أسامه
/http://www.flickr.com/photos/maggieosama
مصطفى الششتاوى
/http://www.flickr.com/photos/msheshtawy
جوناثان رشاد
/http://www.flickr.com/photos/drumzo
جيجى إبراهيم

كتاب « المدينة والدولة "
للمؤلف .. طارق والي
تاريخ النشر .. يوليو ١٩٩٦

يعرض الكتاب في فصول ثلاث تلك الومضة الفكرية في تاريخنا الوسيط والذي حمل ريادتها ابن خلدون مرسياً قواعد علمه الجديد ونظريته المعرفية المستحدثة حول العمران وإشكالية تطوره ..

والكاتب هنا يوازن بين النظرية العمرانية كما فجرها الرواد في القرن الرابع عشر الميلادي ، وبين إشكالية المعاصرة والحداثة للعمران كما يعيشها الآن ..

ويذهب إبتداءاً إلى أن النظريات التقليدية في قضايا العمران والتاريخ خاصة تصب جل أهتمامها حول محور الدولة والسلطة السياسية وفعاليات وأحداث الحقبة السياسية ولا سيما العسكرية منها وتحولاتها المؤسسية ، ولكن نادراً ما تتطرق المناهج التقليدية إلى النواحي الفكرية والجوانب المجتمعية ، وبالتالي تجمدت تلك الرؤى عند جانب منفرد من الإشكالية العمرانية ، ولم تكن لها نظرة شبه شاملة ترصد سائر العوامل المحركة والصانعة للعمران ومجتمعه وأحداثه ..

حتى ظهر ذلك العبقري " عبد الرحمن بن خلدون "..

" ان نظريات ابن خلدون وأفكاره وآراءه كانت بلا شك سابقة لعصره وأوانه "

علم العمران الخلدوني ..

إن الفكر هو أداة الإنسان للأهتداء لتحصيل معاشه والتعاون عليه مع أبناء جنسه ، ومع الأجتماع المهئ لذلك التعاون وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والفنون والصنائع . ويحدد ابن خلدون ذلك : **" .. ثم لأجل هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع ، وما جبل عليه الإنسان من الإدراكات فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفه أو إدراك ، أو أخذ ممن تقدمه يبلغونه لمن تلقاه ، فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه .. " .**

إذن فالعلم بمعناه هو إدراك ما ليس بحاصل ، وفي شموليته هو إدراك أولاً ، ثم معرفة ثانياً ، ثم تحصيل وأمتلاك لزمام الأمور وإستخدامه طواعية ويسر ثالثاً ..

وعلى أساس هذا التصور للعلم بنى ابن خلدون علمه الجديد " علم العمران " ، ومهمته البحث في العوارض الذاتية التي تلحق بالإجتماع البشري ، ونتعرف على مفهوم العمران في الرؤية الخلدونية إنطلاقا من النص الخلدوني نفسه ، وذلك لأنه مفهوم قاعدي في هذا الفكر يمكن أن نعبر عنه بـ **" حياة مجتمعية "** كاملة ، أي كل ما يوجد في الوجود المادي والفكري والروحي لنفس البيئة البشرية ..

فيذهب ابن خلدون في ذلك إلى أن الإجتماع الإنساني ضروري وهو الذي يعبر عنه بـ **" الإنسان مدني بالطبع "** ..

أي لابد من الإجتماع الذي هو المدنية ، وهو معنى العمران ، وهو مرتبط عنده بمفهوم الحضارة ، فهي نتيجة حتمية للعمران تتفاوت بتفاوته ، ويعتبرها ابن خلدون غاية العمران ونهاية عصره ، بل وإنها مؤذنة بفساده بإعتبارها تعني التفنن في الترف وإستجادة أحواله ..

وهكذا ، فإن ابن خلدون كا ن يهدف إلى معرفة المجتمع ، وأستبدل الإشكالية الأخلاقية الميتافيزيقية بإشكالية المعرفة ، أي إنه وجد توازن محسوب بين المنهج العلمي التجريبي وبين الحتمية القدرية الإيمانية ، فلم يضع علماً ليعطي للمجتمع أتجاهاً جديداً ، بل وضع علماً ليدرس كيف تتطور المجتمعات ذاتياً .. فعلمه يبحث عن الواقع المجتمعي وليس متطلعا لمثل عليا ، ينطلق من دراسة الظواهر في حد ذاتها لا لبيان ما ينبغي أن تكون عليه . ويقسم ابن خلدون العمران إلى نمطين : **العمران البدوي والعمران الحضري** دونما تعارض .

بل على العكس ، إنهما شكلان متكاملان للحياة ..
ويشمل ميدان العمران البشري كل حركة تنتج داخل المجتمع وكل ما له علاقة بالسكن والسلطة والمعاش وتناقص السكان وتزايدهم وانقسامهم ، كما يشمل نشاط العلوم والصنائع والحرف ، ولكل من نمطي العمران حاجيات معينة تستلزمها طبيعة المرحلة التي يعيشها المجتمع ..
وليس هناك حد فاصل بين النمطين بل بينهما علاقة جدلية وإن صراعهما يكون اساسا حركة العمران .

طبيعة العمـران ..

يذكر ابن خلدون في مطلع نظريته **" أن الإنسان مدني بالطبع"** ، ويفسر ذلك بأن الإجتماع الإنساني ضرورة لبقاء الإنسان وأستمراره ، وتلك هي المنظومة الأولية التي قام عليها " علم العمران " ..
وما دام هذا العمران قد تحقق بنشأة المجتمع ، فإن أستمرار هذا المجتمع يتطلب وجود وازع – حسب رؤية ابن خلدون – فالإنسان مجبول على طبائع حيوانية وظلم ، وسيعمد بعضهم إلى منازعة بعض حتى يتفكك المجتمع ، فتكون الفوضى ، ومن هنا كانت ضرورة الدولة التي هي الوازع ..
" وهي العنصر المالك الضابط والقامع والمنظم" ، وهذا المالك يحتاج إلى عصبية من الأعوان تكون آليته لتثبيت قوة الدولة والملك ، وبذلك فإن أشكالية المجتمع وعمرانه في النظرية الخلدونية تقوم على أساسين هما :
أولاً : ضرورة الدولة أو حتمية الملك ، وآليته العصبية .
ثانياً : الحفاظ على النوع كمهمة إجتماعية وضمان عدم تسرب عوامل الأنهيار والتضعضع إلى هذا الإجتماع الإنساني الذي هو العمران ، وغايته الحضارة والتحضر التي هي المدينة .

إن أهمية النظرية الخلدونية للعمران بالنسبة للفكر المعاصر في كونها شهادة على العوامل الفاعلة في التجربة الحضارية في عمران المجتمعات والقوانين المحركة لها ، هذه العوامل والقوانين التي يقوم عليها ، أو يجب أن يقوم عليها كل فهم أو تفسير أو تنظير للعمران ، وهي ثلاثة عوامل أساسية يعتبرها ابن خلدون مجتمعة ذات أثر حاسم في التجربة الحضارية والعمرانية ..

العامل أو المحور الإيديولوجي :

ويعنى به التشريع ـ سواء كان بنبوة أو بدعوة سياسية اصلاحية ـ ، فالسياسة عنده تكون مستوى بنيوياً للعمران لا تختلف عن المستويات البنيوية الأخرى أو تتمايز عنها فهي واقع إجتماعي وضرورة من ضرورات المجتمع ، ومشروطة بعوامل أخرى على رأسها العصبية ؛ ذلك الأطار التنظيمي أو آلية التنظيم الطبيعي لكل حركة سياسية أو إجتماعية للعمران ..

العامل أو المحور الإجتماعي :

ويرتكز أساساً – ويكاد يكون منفرداً – على العصبية التي لعبت دوراً أساسياً في عمران المجتمعات ، ويبقى التناقض بين العصبية والملك هو المحرك الأساسي لصيرورة العمران والحضارة بمعنى إنها محرك الديالكتيك المغلق بين البادية والحاضرة والتطور بين نمطي العمران ، ولكنها ليست الوحيدة فهناك الركيزة الثانية وهي " المدينة " ، فحينما تتطور المدينة وتزداد ازدهاراً تنشأ بنية إجتماعية تتميز جذرياً عن بنى العمران البدائية ، وتتوالد فئات مجتمعية جديدة مما يستدعي حياة الطمأنينة وأستمرارها عند أجيال متعاقبة .

العامل أو المحور الأقتصادي (شئون المعاش) :

أبرز ابن خلدون أهمية هذا العامل في العمران بمستوياته ونمطيه ، وتشكل تلك نظرية كاملة لو أنها صيغت بشكل أكثر تجريداً وعمومية ..
يرى ابن خلدون في هذا المجال أن السبب في أرتفاع مستوى رفاهية المجتمع وتطوره هو زيادة كمية العمل ثم تلبية لحاجيات الترف والدعة من الفائض في الإنتاج ..
وتختلف طرق الإنتاج بأختلاف طبيعة العمران . ويعتمد هذا التطور وأساسه زيادة الإنتاج الناشئ كنتيجة للعمل الجماعي وتقسيم أو تخصيص العمل بينهم ، ومعه ينمو العرض والطلب ويرتفع مستوى العمران إلى الترف والرفاهية العامة .
إن عبقرية ابن خلدون تبرز في معالجتها لأثر هذه العوامل مجتمعة وتفاعلها وديناميتها ..
ثم الربط بينها في منظومة واحدة متداخلة العناصر متشابكة الأطراف سماها **" طبائع العمـــران "** .

النظرية العمرانيـــة ..

يؤكد ابن خلدون .. **" الدولة والعمران بمثابة الصورة للمادة ، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها ، وقد تقرر في علوم الحكمة أنه لا يمكن أنفكاك أحدهما عن الأخر ، فالدولة دون العمران لا تتصور ، والعمران دون الدولة والملك متعذر ، لما في طباع البشر من العدوان الداعي الى الوازع .. " .**

فالدولة والعمران إذن أمران متلازمان .. كتلازم الصورة والمادة في كل كائن من الكائنات الطبيعية ؛ ومن جهة أخرى يذهب ابن خلدون إلى أن .. **" الإنسان مدني بالطبع أي لابد له من الإجتماع الذي هو المدنية وهو معنى العمران .. "** موضحاً عملية التمدين **" أن البناء وأختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها .. " .**

وهكذا فإن نظرية ابن خلدون حول العمران يتجاذبها محوران متوازيان لا غنى لأحدهما عن الآخر ، بل لا وجود لأحدهما في غياب الآخر وهما :

المحور الاول : الدولة وتطورها وآليتها الاجتماعية العصبية وغايتها الملك ..

المحور الثاني : التمدين والتطور من البداوة وتعبيره المدينة .. فالمدينة والدولة صنوان متكاملان يشكلان نموذجا ثالثاً ، يخضعان لنفس القوانين خاصة ترتبط بالحركة التطورية ، وهي ما يسميها ابن خلدون بالعوارض الذاتية ..

ويرى صاحب النظرية أن الدولة قوة أعلى من المجتمع وليست قوة مندمجة فيه ، يراها منفصلة عنه وأنها لا يمكن أن توجد إلا في مرحلة معينة من تطور العمران – العمران الحضري ، وكلما مر الزمن عليها أنفصلت عن المجتمع وأصبحت تمثل طبقة أعلى من سائر الطبقات (النخبة السياسية الحاكمة) ، فالسلطان وحاشيته بعد أن يستقر لهم الملك يتخذون الجند ليدافعوا عنهم وينفصلوا عن أفراد المجتمع . وقد خلص ابن خلدون من ذلك إلى أن الدولة علة وجود العمران كحالة مجتمعية ، وهي قرار إنساني إجتماعي لها منازع خاصة بها تحدد مسار حركتها سياسياً وإجتماعياً وأقتصادياً ، وبالتالي عمرانياً وحضارياً عموماً .. ومن هذه المنازع : التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس والأنفراد بالمجد والترف والدعة والسكون ، وإذا أستحكمت من الدولة تلك المنازع ، تكاسل أهل الدولة وألفوا المذلة والأستعباد .. وأنحصرت شوكتهم ، وحل بالدولة الوهن والهرم إلى أن يُقضى عليها .

وعلى التوازي يرى ابن خلدون أن ميلاد المدينة يكون مع زيادة الإنتاج والخروج من دوامات الحاجيات الأولية بالإضافة إلى شرط قيام المؤسسة الحاكمة ، فالملك والدولة سابق للمدينة وميلادها وقيامها ، ويؤكد أنه لابد من تمصير الأمصار وأختطاط المدن من الدولة والملك .

وتبقى المدينة غاية العمران التي هي نفسها غاية الملك ، ومتى وصل العمران غايته كان ذلك إيذانا بفساده وخرابه ، ففي نهاية وجود الدول فأن شيوع الظلم والفساد يقوض دعائم المجتمع فيبدأ الانحطاط والتدهور الأقتصادي والإجتماعي في المدينة .ويؤكد ابن خلدون هنا على حتمية العدل وتجنب الظلم الذي يؤدي بالمجتمعات ويخرب العمران .. فالشريعة أو القانون عنده هي ضمان للعدالة بين الناس إذا ما تحققت تحقق بها عز الملك ، وعز الملك لا يتحقق إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، وأن العدل عند ابن خلدون مفروض بحكم آلهي . وهكذا صمم ابن خلدون نظرية العمران للمجتمع على أنه مجتمع الحكومة والرعية ؛ الدولة والمجتمع لبناء الحضارة وتعبيرها المدينة ..

والفساد عنده نوعان : فساد العمران من حيث صورته الذي يصيب المدينة والدولة ، وفساده من حيث مادته الذي يصيب الافراد وهم مادة العمران . أما الحضارة فتعني لابن خلدون حضارة الإستهلاك بغير حساب ودون إنتاج .. حضارة أولئك الذين يعجزون عن العمل لإستحكام عوائد الترف فيهم ، إنها حياة جماعية طفيلية طافية على سطح المدينة ، وتعيش وتستهلك على حساب الرعية كلها ، وكل ذلك بفضل الجاه الذي تتمتع به الدولة من سلطة بيدها .هكذا فالظلم مؤذن بخراب العمران سواء كان الظلم نتيجة سياسة جبائية أو أستبداد وتسلط أو تعسف على السكان ، أو تجاوز الدولة للسياسة الشرعية ..

ومن أبرز أنواع العدل في الرؤية الخلدونية العدل الأقتصادي أو هو العدالة الإجتماعية ، فالظلم المؤذن بالخراب يتجاوز كل ذلك ليشمل أحتكار التجارة والرزق من ذوي السلطان وأغتصاب أموال الناس عن طريق سياسة التغريم – حسب الرؤية الخلدونية ونظرياتها .

الاشكالية العمرانيـــة والحداثة ..

إن معاصرة ابن خلدون وآنية الفكر الخلدوني اليوم ، لا تأتي من تكراره بغباء وبلا تبصر ، ولكنها تعني الوصول إلى تفسير : كيف ولماذا .. تكون الاشياء كما هي في العالم الذي نحيا فيه نحن اليوم ضمن محدودية الزمان والمكان ، وبالتالي فإن ذلك يحتم ضرورة عدم إخفاء الصعوبات التي نجابهها في دراسة مجتمعاتنا المعاصرة والحديثة الآنية ، بتقديس ما قدمه السلف وعلى رأسهم ابن خلدون نفسه ..

بل بالعكس تماماً فإن ذلك يعني أن تكون لدينا الجرأة ، كما فعل ابن خلدون ، على طرح أفكار جديدة تسمح بالتخلص من زمن الأنحطاط الحضاري ، مستندين في ذلك إلى حالة المعارف الآنية والإشكاليات الحادثة ، دون أن نفقد مع ذلك أو نهدم دعائم وثوابت المجتمع الحضارية ، أو نتجاهل أو نجهل موروثات هذا المجتمع وتراثه ..

هي رؤية توافقية تتجه إلى الحاضر وتتطلع إلى المستقبل بنفس المنهجية العلمية والأهتمام التي أتجهت به إلى الماضي أو أكثر حتى يغدو في الإمكان جعلها معاصرة وتحويلها إلى مشروع قابل للتحقيق ، للإنماء والتطوير ، وتبقى **رسالة من الماضي إلى المستقبل** .. وهذا لن يتم إلا إذا تحررنا من عوائق الفكر الموروث وبالتالي كسر عوائق تطور مجتمعاتنا وتحرير عقولنا من سيطرة اللا معقول والسلاسل والقيود الفكرية والمجتمعية التي جعلت الخلدونية ماضوية وليست مستقبلية مما يهددنا نحن بذات المصير ..

فإذا كان ابن خلدون قد أكتشف أن الحركة الظاهرة للمجتمع هي حركة دورية للديالكتيك المغلق ، فهو لم يفسر السبب لهذا الشكل الدائري للحركة العمرانية ؛ وإنه من الضروري لنفهم الدورة السياسية لهذا المجتمع أن نعيد هذه الدورة في حركتها الأساسية إلى قاعدة تحليل علاقات الإنتاج والتبادل التي تتطابق مع حالة معينة من تطور القوى داخل المجتمع : القوى الإجتماعية والقوى الأقتصادية ، هذا هو التناقض اللاعدائي بين الأرستقراطية القبلية والأرستقراطية المدينية والذي يحدد الحركة الدائرية للدولة . وبالتالي الحركة الدائرية للمدينة وعمرانها ..

إن تناقض هاتين الطبقتين الاجتماعيتين لأنهما حاملتين لعلاقات إجتماعية مختلفة ، والفرق الجوهري أن الإرستقراطية القبلية تقوم على أساس العلاقات البنيوية الإجتماعية الداخلية ، وتقوم أرستقراطية المدينة على العلاقات الأقتصادية الخارجية .. هناك تماسك وترابط في الأولى يضمن لها الأستمرارية ، وهناك صراع وتفسخ يؤدي بالثانية إلى التفتت والأنهيار .. أما الأساس المادي الذي يقيم عليه هذا المجتمع (المديني) حضارته هو الجاه المفيد للمال ، وتكون القوة العسكرية هي آلية تطور المجتمع عمرانيا ، أو هي قيام الدولة وعمران المدينة ، وهكذا كانت المؤسسة العسكرية الإجتماعية تاريخياً هي محور هذه الحركة المجتمعية وأداتها بل احياناً المحرك الأساسي والآلية الرئيسية لهذا التطور والمحور المشترك في تنظيم الدولة وعمران المدينة في مجتمعاتنا العربية .

وتطرح الحقبة الحديثة أمامنا أشكالات من نوع آخر من الناحية التاريخية بدأت من العصر الوسيط مع الدولة العثمانية ، وظهرت نتائجها في وسط القرن التاسع عشر مع تمثل وأستعارة مفاهيم الدولة الأوروبية في المشرق العربي ..

ومن ملامح ذلك تدعيم مبدأ الدولة وضرب القيادات الوسيطة (الطبقات المتوسطة) بل وإلغاء وتعطيل دورها في المجتمع المديني لصالح الأجهزة المرتبطة مباشرة بالحكم والدولة .. وبأختصار فإن الامر كان يعني في غايته إحلال مبدأ الدولة على حساب المدينة ومجتمعها وأستقلاليتها ، اي تحديداً إلحاق المجتمع بالدولة ، ولدينا في تجربة محمد على باشا في مصر النموذج على ذلك تحت إدعاء تحديث المجتمع من أجل خلق الدولة القوية ، التي ليست كذلك الا بمقياس إضعاف ما تفرضه خصومها أي ممثلي المجتمع المديني ، وتبعاً لهذه الخطة حدث تدمير منهجي للمؤسسات المدينية لصالح مؤسسة الدولة وأجهزتها التي أوكلت إلى نفسها مهمة مراقبة المجتمع وتدبير شئونه بنفسها ، الحالة التي أستمرت إلى يومنا هذا .

والمفارقة هنا تكمن في أن ابناء المجتمع المديني من الأهلين ، حين ما بدأوا ينخرطون في جسد الدولة ، كانوا يقدمون مبدأها ويرفعونه فوق المجتمع الذي أنبثقوا منه .

وحين أخذ أفراد من الأهالي يحلون في الإدارة ويلحقون بأعمال الحكومة أسهموا قبل سواهم في تعزيز مبدأ الدولة على حساب المجتمع المدني ، وتندرج ضمن هذا السياق أعمال

رفاعة الطهطاوي ومن بعده جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وآخرين فقد عملوا قصدا أو بدون قصد على بلورة مفهوم أن الدولة ترتفع فوق المجتمع وتحكمه ..

واليوم يستيقظ دعاة السلفية أن الدولة أبتعدت عن التشريع والموروث الاسلامي ، بل وإنها كانت كذلك في الماضي القريب وليس في الحاضر الحادث اليوم فقط ، وهكذا فالتاريخ عندهم لم يعد صالحا وحده كإطار مرجعي ، وهنا تخلى السلفي عن " التاريخ " وبالتالي تحرر مما كان يدفع به الرواد من العصر الوسيط وحتى المعاصر إلى الأنفتاح والتجديد وأنتكص إلى الوراء ليصيح صيحة الخوارج الأولى " لا حاكمية إلا لله " ، لم يعد الآن يطلب النهضة ولا التجديد ولا الأصلاح ، فهو يقرأ التاريخ في الشرع ، ولكن ليس التاريخ الماضي ، جاعلاً من الجيل الأول من الصحابة وتابعيهم " النبع الصافي " وهو صورة المستقبل المنشود ، إطاراً مرجعياً وحيداً .

وفي المقابل أنصرف الليبرالي العربي في تزامن مع السلفي إلى الممارسة العملية للسياسة في الحاضر ، بينما كان السلفي يمارسها نظرياً في الماضي ، فقد أخذ الليبرالي يتخلى تدريجيا عن اطاره المرجعي الأصلي الغربي (الأوروبي) وأنتزع " التاريخ " من يد السلفي ولكن ليس التاريخ الإسلامي بل التاريخ العربي (القومي) ..

لقد أصبح يعمل من أجل بناء الحاضر والمستقبل ودولة الحاضر آخذة بنفسها في علمنة مؤسساتها وأسسها ، لعلمنة الحاضر .

ومن هنا غاب المشروع الحضاري عن كل من السلفيين بمرجعهم الشرعي الإسلامي وعن التقدميين الليبراليين بمرجعهم القومي العربي ، وغبنا نحن عن الحضارة نفسها وأصبحنا مستهلكين لما تنتجه حضارات الآخرين من تقنيات وصناعات وثقافة وأيدلوجيات نضيع معها في صراعات لا تصل بنا إلى شيئ لأنها لا تبحث عن شيئ سوى أن تخرجنا من حضارة اليوم حتى لم يصبح لنا فيها دور على مستوى الأفراد أو المؤسسات الرسمية أو المدينية .

لقد غاب عنا دورنا الحضاري والدعوة لإحياء هذا الدور تبدأ من فهم المشروع الحضاري لأمتنا مدناً وأمصاراً .. ودولاً . فإذا كان المثقف " الليبرالي " يريد أن يلحق المجتمع بالدولة ، فإن ما يريده " السلفي " هو إلحاق الدين والمجتمع بالدولة التي ينشدها ، أن ما يجمع الأثنان إيمانهما المشترك بأولوية الدولة وأرتباطها بها كهدف منشود مهما أختلف شكلها أو رسمها .

إن الصراع بين المفهومين أو الأتجاهين صراع حول الوصول إلى الدولة المهيمنة في غياب المشروع الحضاري لها أو دون الأمساك بآليات تطور المجتمع في سلمه التطوري سواء كانت آليات إجتماعية أو أقتصادية ، إنه أختلاف في الرأي حول كيفية هيمنة الدولة على المجتمع المديني وتعبيره المادي المدينة والدولة في ذلك تترفع عن المدينة والمجتمع معاً .. وبالتالي فليس الهدف لأي منهما إيجاد صيغة تعادلية متوازنة ومعاصرة في معالجة الدولة وأرتباطها بالمدينة ، حتى تعود لكل منهما هويتها الحضارية ولكن الهدف هو هيمنة الأولى على الثانية سواء بأسم سيادة القانون أو حتمية الشرع ..

وليس الهدف من هذا الفصل بين المؤسسات السياسية الرسمية للدولة والمؤسسات المدينية في المدينة ، لأن التجربة التاريخية قديمها وحديثها أثبتت أن النهاية المحتومة هي هيمنة **" الدولة العسكرية "** الغالبة على الدولة والمدينة لمصالحها في غياب المشروع الحضاري لهما ..

والنتيجة هي إنهيار مؤسسات الأثنين معاً في تتابع محتوم .. وهـــو **" خراب العمران"**.

للمزيد عن كتاب " المدينة والدولة "
http://www.walycenter.org/en/research/publications/books

عرض كتاب: العدالة الاجتماعية والمدينة

ليلى حافظ

كتاب: العدالة الاجتماعية والمدينة
بقلم: ديفيد هارفى
تاريخ النشر .. ١٩٧٣

قبل اربعين عام صدر كتاب جديد بعنوان "العدالة الاجتماعية والمدينة" للجغرافى والفيلسوف ديفيد هارفى، وصفه النقاد بمثابة ثورة فى الفكر الجغرافى؛ بينما اعتبره البعض الأخر مثيرا للجدل، لأنه، كما قالوا، "يعيد النظر فى أفكار وقيم أساسية فى اسلوب حياتنا".

لقد قام هارفى فى كتابه "العدالة الاجتماعية والمدينة" بتجميع مجموعة من الابحاث التى كتبها على فترات ومراحل مختلفة عن العمران والمدينة، وتناول فى الكتاب اشكال المدينة الحديثة، او "تطور الحركة الحديثة فى العمارة"، وطرح رؤية فريدة لما قد يطلق عليه البعض فكرة المدينة الفاضلة.

ديفيد هارفى أستاذ بريطانى فى علوم الانسان، بمركز التخرج بجامعة نيويورك، كما انه من كبار المنظرين الاجتماعيين فى العالم. هارفى استاذ جغرافيا وصاحب عدد كبير من الكتب والمقالات والابحاث التى تساند الاساليب الخاصة بالطبقة الاجتماعية والاسلوب الماركسى وتعتبرها أدوات جادة ومنهجية فى نقد الرأسمالية العالمية، وهو الرجل الذى قدم فكرة "الحق فى المدينة".

لقد اصبح هارفى مهموما اكثر من اى شئ اخر بقضايا الظلم الاجتماعى وطبيعة النظام الرأسمالى نفسه، وانتقد الفراغ المطلق والاستثنائية فى الجغرافيا.

انتقل هارفى الى بالتيمور بالولايات المتحدة للعمل استاذا فى جامعة جون هوبكونز، ومنذ ذلك الحين تبنى بشكل كامل النظرية الجديدة والخاصة بالجغرافيا الماركسية الراديكالية، بعد ان صدمه حجم الظلم والعنصرية والاستغلال فى تلك المدينة.

وفى السبعينات من القرن الماضى، قام هارفى مع اصدقائه بتكوين "اتحاد بوسطن للجغرافيين الامريكيين" الذى اصبح فيما بعد نقطة تحول اساسية فى نشاطهم من اجل تعليق الاسلوب التقليدى فى التعامل مع المسألة التى يطبقها زملائهم، وطرح ما اطلق عليه "نظرية ثورية"، أى نظرية " تم التصديق عليها من خلال تطبيق ثورى".

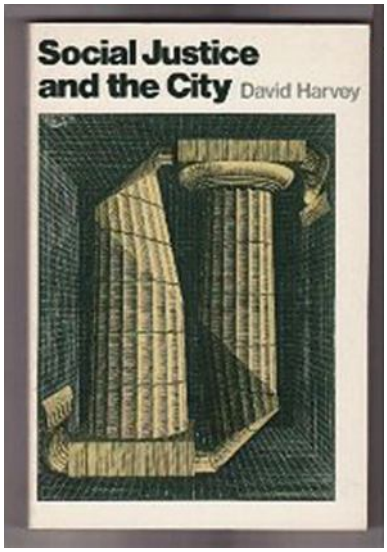

ولقد قام ديفيد هارفى فى كتابه "العدالة الاجتماعية والمدينة" الذى صدر فى عام ١٩٧٣، بطرح فكرة ان الجغرافيا ليس بإمكانها ان تظل موضوعية فى مواجهة الفقر فى العمران وكل السلبيات التى ترتبط به. وان الرأسمالية تقوم بالقضاء تماما على الفراغ من اجل ان تؤكد قدرتها على ملئ هذا الفراغ.

وشرح هارفى فى كتابه كيف انه وجد انه من المهم ومن الملائم ان يستكشف كيف يمكن ان تتواصل الافكار فى الفلسفة الاجتماعية والاخلاقية مع البحث الجغرافى ومع كل مجالات الجهود الفكرية مثل التخطيط والعلوم الاقليمية والتى تتشابه فى الكثير مع الجغرافيا.

ولقد افترض هارفى ان مبادئ العدالة الاجتماعية ذات العلاقة بين تطبيق المبادئ الفراغية والجغرافية والتخطيط العمرانى والاقليمى.

لقد قدم هارفى فكرة العدالة الاجتماعية فى المدينة فى كتابه وفى العديد من اعماله، واكد على ان هناك خطأ جسيما فى شكل المدن اليوم (السبعينات) سواء كان ذلك فى التصميم او الرسم او السلطة او التاريخ. كما انه طرح مسألة "العدالة الاجتماعية" من الناحية الاقتصادية والقلق من ان يكون النظام الاجتماعى نظاما مسطحا الى حد ما. ومن اجل الوصول الى هذا الهدف، وجد هارفى انه من المناسب ان يستخدم مدينة بالتيمور، فضلا عن بعض المدن الاخرى، كركيزة او مرجع يمكن العودة اليه من اجل الحصول على اجابات للتساؤلات التى تظهر عندما يتم القاء الضوء على الهموم الاجتماعية والفلسفية؛ فيرى هارفى انه من الممكن ان تقدم مدينة بالتيمور نماذجا عديدة للطبيعة الظالمة، وقام بتحدى نقص البدائل المطروحة للوضع القائم؛ كما قام بدعم مبادرة "مرتب للإعاشة" بدلا من سياسة "الحد الادنى من المرتبات".

واوضح كيف أدى "تغذية وحش وسط البلد" الى إفراغ المدينة من ثروتها الاخلاقية والمالية.

ولقد قام هارفى بطرح التقدم الاجتماعى والاشكال الفراغية عبر تطورات فكرية عدة: ففى الفصل الاول يعتبر هارفى ان المشكلة فى أساسها لغوية، لذا فهو يقدم لها حلولا لغوية. ولكن فى الفصل الخامس تحولت المشكلة الى مسألة خاصة بالتطبيق الانسانى، والحلول الخاصة بتلك المشكلة تكمن فى مجال التطبيق الانسانى. فى الفصول التالية يناقش هارفى مشكلة التمييز بين التقدم الاجتماعى والاشكال الفراغية، ويشرح ان الاشكال الفراغية لا تعتبر فى حد ذاتها كيانات جامدة ينمو من خلالها التقدم الاجتماعى، ولكنها "تحوى" داخلها العملية الاجتماعية بنفس الطريقة التى نجد فيها ان التقدم الاجتماعى مسألة فراغية.

ومن خلال الابحاث التى يقدمها هارفى فى الكتاب، يحاول الكاتب ان يشرح للقارئ كيف تتطور كل فكرة، وكيف تطرح فى البداية ثم تتغير فى النهاية، وكيف تتطور الافكار فى اتجاهات مختلفة، وكيف تبدو تلك التطورات معقدة.

فيطرح هارفى فى البداية فكرة "طبيعة النظرية"، ويوضح كيف يرى البعض النظرية على انها انفصال غير طبيعى بين المنهجية والفلسفة، ولكن هارفى على العكس يرى هذا الانفصال مسألة تتصل بالملائمة فقط لا غير. ولكن فى الفصول التالية يستبعد هارفى كل اشكال الانفصال، حتى تلك التى تقوم على الملائمة، التى تعتبر الوقائع منفصلة عن القيم، والمفعول به مستقل عن الفاعل، و"الاشياء" على اساس انها تملك هوية مستقلة عن ادراك الانسان والفعل، و"خاصية" الاكتشاف منفصلة عن "عامية" النتائج.

فى نفس الوقت، رأى هارفى فى البداية ان بناء نظرية يتطلب إقامة كيان لغوى مناسب، يتضمن معانى ومفاهيم ثابتة، ولكن فيما بعد اشار الكاتب الى ان المعانى يمكنها ان تحدد النهايات، وان اسلوب فكرى قام على معانى ثابتة وفئات وعلاقات ثابتة، قد يكبت، بدلا من ان يشجع، قدراتنا على فهم العالم.

بنفس الطريقة كان هناك تطورا فى التعامل مع فكرة التحقق من الشئ، والتى يرى هارفى انها لا يمكن ان تنفصل عن التطبيق الاجتماع بشكل عام، وذلك لان "التحقق" يتم من خلال التطبيق، مما يعنى ان النظرية هى التطبيق. ويمضى هارفى بالقول ان النظرية تصبح تطبيقا من خلال الاستخدام، وهنا، وفقط هنا، يمكن ان يتم التحقق منها تماما.

أما بالنسبة لطبيعة الفراغ، ففى الفصول الاولى يتعامل هارفى مع "الفراغ" بشكل فلسفى، فاوضح انه فى اللحظة التى نكتشف فيها معنى الفراغ، ونجد الوسائل لتقديمه، يمكن ان نبدأ فى تحليل ظاهرة العمران وذلك من خلال التوفيق بين مفهومنا للسلوك الانسانى وأى رؤية عامة للفراغ. ولكن هذا التعامل يتغير مع توالى الفصول فى الكتاب، ويبدأ هارفى فى تصور ان الفراغ يصبح ما نريده منه ان يكون، خلال عملية التحليل وليس قبلها. كما يوضح هارفى ان الفراغ ليس مطلقا، ولا هو نسبى ولا ذات اتصال فى مكنونه، ولكنه يمكن ان يصبح اى منهم او كلهم فى نفس الوقت، وذلك حسب الظروف.

وحول مسألة "طبيعة العدالة الاجتماعية"، قدم هارفى الفكرة وتطورها، إذ تحول من الفكر الليبرالى الى الاشتراكى او الماركسى. وتحول من النزوع الى اعتبار العدالة الاجتماعية مسألة معنية بالعدالة والاخلاقيات الابدية الى اعتبارها شيئا طارئا على العملية الاجتماعية فى المجتمع ككل.

واخيرا، يرى هارفى ان "طبيعة العمران" يعتبر "كيانا فى حد ذاته"، ويمكن فهمه كذلك؛ ولكن فيما بعد، بدت فكرة العمران فرصة مواتية، يمكن من خلالها التقاط بعض الملامح البارزة فى التقدم الاجتماعى الذى يجرى فى المجتمع ككل- ويتحول ليصبح وكأنه مرآة يمكنه ان يعكس بعض الاوجه الاخرى للمجتمع. هذا التحول يحدث جزئيا لان العمران يتم تفسيره على انه ذات علاقة او صلة. ولكن انهيار التمييز بين الانتاج والتوزيع سيكون له تأثيرا كبيرا على الطريقة التى نرى بها العمران. لهذا فان أى قلق مبدئى حول العمران ككيان قائم بذاته يتبدد ويتحول الى قلق على كل أوجه الانسانية والطبيعة والفكر والعقيدة والانتاج الخ.. التى تشكلت حول فكرة العمران ذات الصلة.

اكد هارفى ان تلك الموضوعات الاربعة لا تتطور فى استقلالية الواحدة عن الاخرى، ولكن هناك تشابه وتواصل بينهم فى كل الأوقات. وبما ان التطور يعتبر فى فكر هارفى عملية مستمرة بشكل خاص فى مجالى العلوم والفلسفة، فان هارفى يثبت ذلك فى كتابه الجديد الذى سيصدر فى ابريل المقبل ٢٠١٢ بعنوان "المدن المتمردة: من الحق فى المدينة الى ثورة العمران"، حيث سيكشف خواص المدن التى اصبحت مواقع مركزية لسياسات ثورية.